عقيدة أهل الايمان
والذب عن بعض الأعيان

تأليف

الطالب خيار بن مامينا
آل الشيخ
ماء العينين
الحسني الادريسي

عقيدة أهل الايمان والذب عن بعض الأعيان

تاليف

الطالب خيار بن مامينا
آل الشيخ
ماء العينين
الحسني الادريسي

رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لاتحصى ماخلقوا بعد.

الإمام عبد الرحمان بن الجوزى

صيد الخاطر

تقاريظ العلماء والادباء في القطر الموريتاني لكتاب عقيدة اهل الايمان والذب عن بعض الاعيان

□ كتب شيخ الاسلام أستاذ المتاخرين القدوة العلامة المحدث امام الجامع الكبير في مدينة انواقشوط محمد بداه علما ابن البوصيري التندغي (حلة أربعين جيدا) الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اما بعد فقد سمعت باصغاء وتفهم ماجمع الابن الابر المختار الاستاذ الطالب خيار في رسالته المشتملة على عقيدة أهل الايمان والذب عن بعض الأعيان وأولياء الرحمان فاذا هو جمع سلامة قد ركب سنام الكرامة ولم تحم حول ساحته الملامة، وقد دل على ماكان عندي دلالة المطابقة، كما يقال وافق شن طبقه فلذالك سلمته تسليما فيه الجنان مطابق لما كتب بالبنان فجزاه الله خيرا ووقاه ضيرا وقوى به عرى الاسلام كتبه بداه ابن البوصيرى

وكتب العلامة الأصولي المحقق النظار الاستاذ عثمان بن الشيخ احمد أبي المعالي مايلي :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم الحمد لله وبعد فقد تأملت وتصفحت ماجمعه الأستاذ الجهبذ النقاد الشريف الحسنى الشيخ الطالب خيار بن مامين في كتابه (عقيدة أهل الايمان والذب عن بعض الأعيان) من العقائد السنية والفوائد السنية والتحقيقات القيمة فإذا هو فريد في بابه شاهد بعلو كعب جامعه فيما تصدى له وقد أوضح فيه مايجب اعتقاده في حق الله وحق رسله الكرام وأزاح الشبهات وحل الاشكالات واثبت الفرق بين كرامات الأولياء المتقين واستدراجات المتشعبذين وفند آراء بعض المعاصرين الذين فوقوا سهامهم نحو المشهورين من العلماء

المتقين والأولياء العارفين وانكروا مامنحهم الله من الكرامات وخوارق العادات وجعلوا ذلك من قبيل الاستدراجات فناقش آراءهم نقاشا علميا مدعما بالأدلة الشرعية من كتاب وسنة ونقول ائمة السنة المقتدى بهم فأوضح بذالك جواز بل ووقوع الكرامات لاتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما في محكم القران وصحيح السنة والاثارة كما بين خطأ الذين يحاولون تجريد الاسلام من المعاني الروحية وانكروا آثار الخشية التي تعتري المؤمنين عند سماع الوعد والوعيد في القرآن مع ان كتاب الله العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حصر الايمان في أهل الخشية والوجل فقال جل من قائل : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)

ولما اجلت الطرف في رياضه وسرحت النظر في ازهاره وجدته جزل الالفاظ قويم المباني كثير المعاني داعيا الى التمسك بالطريقة المثلى خاليا من الافراط والتفريط سالكا اقوم طريق فلذالك سلمته وحق له التسليم.

كتبه عثمان بن الشيخ احمد ابي المعالي

وكتب العلامة الفقيه لأصولي سيف المناظرين محمد العاقب بن محمد الامين ابن آدُّ الجكني مايلي :

الحمد لله الذي تقدست عن الأشباه ذاته وتنزهت عن مشابهة الامثال صفاته والصلاة والسلام على سيدنا محمد السراج المنير الداعي الى الله باذنه وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا ولما نظرت ماكتبه علامة دهره الوارث لعلم النبوة في العقيدة السنية والذب عن اعلامها، نظرت فيه فاذا هو قام بفرض الكفاية عن علماء الاسلام، فجزاه الله عن الأمة المحمدية خيرا، سلمت ماقال وماكتب لوجوب ذالك علي تسليما ماذونا باعتقادي لما كتب اعتقادا ايمانيا مع صحة النقل والامانة فيه وعدم التعصب الا للحق فجزاه الله خيرا عن المسلمين اجمعين.

محمد العاقب ابن آد الجنكي

وكتب العالم الفقيه الناسك بقية السلف احمد بن محمدا بن حامد بن محنض بابه الديماني مايلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فقد تأملت ما جمعه ونقحه وخرج أحاديثه الابن البار السيد الطالب خيار بن مامين حفيد الشيخ ماء العينين فاذا هو تأليف جامع ونافع ولايسع المنصف إلا قبوله وتسليمه والتنويه به فهو المجمع الذي لم يسبق صاحبه إليه وبما أنه كان مما يجب تعلمه وتعليمه لما اشتمل عليه من الفوائد المتعينة الدالة على سعة اطلاع المؤلف وطول باعه، وكأن المؤلف كوشف له عما في ضميري من تشوف إلى بعض هذه المعلومات المنقولة من الكتب المعتمدة، كما ذكرني أمورا خانتني بها الذاكرة فشكرا على هذه المبادرة التي كانت الوضعية الاسلامية بحاجة إليها ماسة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام لجنابكم الفاضل أحمد بن محمدا بن حامد بن محنض بابه

وكتب العالم الفقيه المشارك الثقة القاضي عبد الدايم بن الشيخ أحمد ابي المعالي مايلي :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد فقد اطلعت على تأليف الشريف الظريف الألمعي الأخ الفاضل الأستاذ الطالب خيار بن مامين الموسوم بعقيدة أهل الايمان والذب عن بعض الأعيان فإذا هو مشتمل على العقائد السنية المأخوذة من الكتاب والسنة والموضحة بتفسير الراسخين من أعلام الأمة وقد قام جامعه جزاه الله خيرا بتبيان المذهب الحق الخالي من التشبيه والتعطيل وأوضح بالنقول الصحيحة اتفاق ائمة السلف وهداة الخلف على التأويل الاجمالي في المتشابه من آي واحاديث الصفات انطلاقا مما ترشد إليه الآيات المحكمات في الكتاب العزيز مثل قوله تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

كما بين بالنقول الصحيحة جواز ووقوع كرامات الأولياء وأنها معجزات لأنبيائهم وهذا مااتفقت عليه أهل السنة ولم يخالف فيه إلا المعتزلة ومن أراد شفاء الغليل فيه فليراجع الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان للعلامة ابن تيمية.

وتطرق جزاه الله خيرا إلى ايضاح أن مايقع للمخلصين المخبتين المتجردين لذكر الله من الوجل والحال الذي لاينكره إلا مكابر أو غبي، وجلب على ذالك نقول الائمة الموثوق بهم ونقل كثيرا من الحكايات عن أكابر السلف في ذالك وهو ماترشد إليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ومعلوم ان الوجل هو الخوف وآثار الخوف يختلف من شخص الى آخر ولا أدل على ذالك مما حكاه الله عن نبيه موسى عليه السلام لما تجلى عليه فقال : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاوخر موسى صعقا) فموسى نبي مرسل من أولى العز وقد أوجب له التجلي الصعق والجبل صار دكا = من تجلى الله عليه وهذا غيض من فيض وقد افاض فيه المؤلف وأجاد جزاه الله خيرا وقد قام بالتفريق بين الصوفية سالكى طريق الآخرة وبين المتشبهين بهم المنتحلين للتسمى باسمهم الذين هم في واد واولئك الصادقون في واد، ولهذا فإن الكتاب حافل بالفوائد النفيسة والتحقيقات العجيبة ولهذا سلمته وحق له التسليم.

كتبه أسير ذنبه عبد الدايم بن الشيخ احمد أبي المعالي

25 شعبان / 1409 هـ موافق / 2 / 4 / 1989 م

وكتب العلامة الأصولي الورع محنض بابه بن أمين الديماني

ليعلم من يقف عليه ان ماشتملت عليه عقيدة أهل الايمان والنصرة للأولياء الأعيان من النقول الصريحة والمعاني الصحيحة مما يلزم تعلمه وتعليمه ولايسع المنصف إلا قبوله وتسليمه والاختصار في بعض الأحوال يكفى وإن كان التطويل يزيد البيان ويشفى

وكتب محنض بابه بن أمين

وقرظ الشاعر الأديب والصحفي الاريب محمد كابر هاشم العلوي الكتاب بالقطعة التالية :

في زمان فيه المفوه عي　　والجنيدى شاقه البدعي
والسهى القزم بالكواكب يزرى　　يبهر الشمس ضوءه البدري
وابن آوى يقول للأسد زهوا　　انني اليوم شهمك الألمعي

وبدا العلم في الانام رخيصا يتعاطاه الهيبان العيي
وغدا الزيغ في العقائد شاوا لايبارى فيه الجهول الغبي
في زمان لم يبق للحق إلا سورة الحق والضمير الأبي
كان للندب نجل مامين سيف مشرفي وصارم صيقلي
وخيول جرد مذاكي قب ليلها النقع سابحات دلي
تقحم الزيغ نائشات ظباها ملل الزيغ رمحها سمهري
فهنيئا له الكتاب وفهم حده أحد والزناد الوري

وهذه قصيدة رائعة للأديب الفقيه المشارك محمد بن سيد محمد ابن حمينا اليدالي

الا فاسل عن عهد الصبا والمجون وعن ذكر لحظ من مراض الجفون
وعن ذكر غزلان شدن ومنتدى وعن ذكر بان وانثناء الغصون
وصاحب كتابا لابن مامين انه حوى كل صنف من صنوف الفنون
وقد جاء نثرا من نضيد جواهر جمان وياقوت ودر مصون
عقيدة ايمان تصحح فاسدا وترشد غرا من عمى وجنون
وذبا عن ارباب التقى وذوى النهى وتردع قوما من دعاة الفتون
ونال رضى قوم هداة فسلموا وما أنا في تسليمه بحرون
ونال رضى أهل العقيق وطيبة ونال قبولا بالصفا والحجون
فلله ماسل ابن مامين سيفه يبين ضلال المحتمى بالظنون
جهادا وذبا عن شريعة جده بمتن صحيح او بشرح متون
ولاغرو أن كان الجهاد سبيله فتلك سبيل القوم منذ قرون
كداب الامام الشيخ مامين قبله وداب الامام القطب ماء العيون
خليلي عن قوم ابن مامين حدثوا فان حديثا عنهم ذو شجون
صلاة وتسليم على المصطفى الذي إليه ملاذى في جميع شؤوني

وقرظ الأديب البارع الشاعر الخنذيذ محمد الحافظ بن احمد التندغي (حلة اربعين جيدا)

ياطالب الخير في اخلاص نيات كالشمس تشرق من قبسات ايات

بالطالب اخيار لذ ان رمت خالصة ... من العقائد ماليثت بشيات
يبين فيهن ارث الشيخ سيدات ... في الذب عن اطم الشرع العتيدات
بصارم من سيوف الحق منصلت ... يهوى باراس اصحاب الضلالات
عقائد السنة الغراء ينخلها ... بقبسة من حصيف الحكم مشكاة
عقائد هي للايمان آخية ... يشد سلطانها أهل اللجاجات
مستنبطات من القرآن اعينها ... وبالفرات من أمواه النبوات
ماصح عن خير خلق الله مصدرها ... مع انقداح لافهام حديدات
جلى بها ابن مامين لاعيننا ... طرق النجاة واسباب السعادات
ماشذ فيها عن الاجماع بل رسخت ... أقدامه في أصيلات الديانات
وذب عن حرمات الصالحين بها ... بمرهفات على الأعدا شديدات
عقائد مابها حشو وليس بها ... تشبيه رب بمذروء الخليقات
لاغرو ان فوق السهم الجرىء الى ... دك الأباطل نجل الشيخ سيدات
لاغرو ان حاطِمَ الاسلام بيضته ... وصد عنه مكيدات شنيعات
فإنهم أهل بيت كان شيمتهم ... حماية الدين من شتى العصابات
قد سوروه من الروم الطغاة ومن ... عقائد الزيغ والهوج الدجنات
فبارك الله في التأليف اجمعه ... ومابه من براهين سديدات
وان ذا العلم منهم جاء أوله ... فإن يصونوه من عاتى المغيرات
صان الانام هناك الدين وابتدروا ... لنصره ولعوا طماح قنات
يأهل بيت رسول الله دينكم ... فإنه هان من بين الخليقات
فاستنصروا جدكم فالله ناصره ... صلى عليه بآصال وغدوات

وهذه مساهمة رائقة من الأديب الكبير الأستاذ محمد سالم بن أحمد بن محمدا الديماني

بسهمك قد أصبت وبالنبال ... وبينت الصواب ولاتبالى
دفاعا عن حمى الاسلام ذبا ... عن الأقطاب أمثال الغزالى
رسمت عقيدة الايمان كيْما ... تنير بها السبيل لدى الجدال
تدعم من كتاب الله طورا ... أواصرها على نهج مثالي

وطـورا بـالحديث كما روتـه ... ائمتنـا الهداة ذووا المعـالى
تجدد سورهـا وتـنير لونـا ... وترفعهـا على قنـن الجبـال
وقد عبث البغاة بها وعاثـوا ... كما عـبث العـواصف بالرمـال
ويـابى اللـه ذاك لهاد قـديما ... وتابـاه ذووا الهم العـوالي
ومـن اجماع امـة خير هـاد ... تعـزز مساهمت بـذا المجال
تـذب عـن أوليـاء اللـه ترجـو ... بذاك رضى المهيمن ذى الجلال
مبـادرة سبـقت لها وانى ... ليعجبني الغيـور مـن الرجـال
لـنصر الحق يسعـى لـيس الا ... ويدعـو لاحتساب وامتثـال
يعـارض مايـراه سوى صواب ... ويـنصح من يـراه خلي بـال
ايا ابـن الاكـرمين الـيك نهدى ... تهانئنـا على مـر الليـالي
سبقت بـذا المجال وفقت فيـه ... كسبق الطرف عرجـاء البغـال
اسانـد سعـيك المشكـور اني ... على اللـه اعتمادي واتكـالي
مساهمة ابـوح بها لعمـري ... فمـالي لا أبـوح بها فمـالي؟
جمعت فوائـد وبنـيت سورا ... مشيـدا لـن يهدد بالـزوال
بأسلوب كطعم الشهـد يـنسى ... لذيـذ التمر بـل عـنب الـدوالي
افـدت بما جمعت جـزيت خيرا ... قريـر الـعين في أهـل ومـال
بجاه المصطفـى صلى عليـه ... وسلـم ذو الإلى مـولى الموالي

وهذه قصيدة بديعة بعث بها الشاعر الشاب الابن العزيز محمد ابراهيم ولد محمد عمران البصاديُّ في تقريظ الكتاب :

جمع الهمـــــام محدثُ الأزمـــــان ... شمل العقيـــدة في نضار معـــان
سرَّحتُ طرفي في الكتـاب وإنَّـه ... بستـــان علـــم مثمـــر الأفنـــان
هذا ــ وعمرك الاله ــ غليلنا ... ابردتـــه وشفيتـــه مـــن ران
أبردتـه مــن كل فـــنٍ مشتهىً ... أبردتــــه بالفقـــه بالقـــرآن
وكشفت عن وجه الدليل متابعاً ... نهج النبـــي وصحبـــة الغُـــرَّان
مــاكان ردك ياسلالــة شيخنــا ... الا نتيجـــة خاطــــر ربـــاني
بحْـر تدفـق من مَـعين علومــه ... دَرٌّ ودُرٌّ خـــالصُ الألبـــان
نعــم الجدود جـــدوده وردودُهُ ... نعم الردود على ذوي العـدوان
لله درُّ الطـالب الأخيـار مـَن ... شهـمٍ أبـان الحق أيَّ بيَـان
الفائق الأقران نجْلُ الفائق الـ ... أقــران نجل الفائـــق الأقــران
ثم الصلاة على النبـــي وآلـــه ... والصحب والاتبـاع والاخـــوان

وقد توصل المؤلف بعدة تقاريظ أخرى، إلا أنه نظراً لضيق الوقت ووصولها إبان سحب الكتاب فإننا نعتذر عن نشرها ونكتفي بسرد اسماء أصحابها وهم.

ــ صاحب الفضيلة محمد سالم ولد عدود وزير الثقافة والشؤون الاسلامية بموريتانيا سابقا

ــ فضيلة القاضي إعليه ولد سيدي يحيى

ــ فضيلة الداعية حمداً ولد التاه المستشار الشرعي ببنك البركة

ــ فضيلة الشيخ اتقانا ولد الوالد بن الشيخ سعد أبيه.

ــ فضيلة الاستاذ يدَالى بن الحاج أحمد

وهم جميعا جزيل الشكر.

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الواحد الاحد الصمد، المنفرد بالتوحيد الذي لايفنى، أحاط بالأشياء كلها علمه واتقنها صنعه، والصلاة والسلام على المنتقى من أرومة العز وذروة المجد المنتخب من أكارم الأصلاب، بحبوحة الكرم وينبوع الحكم أمام المتقين وخاتم النبيئين المبعوث الى كافة الخلق بالتوحيد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد : فان اشرف العلوم وأجلها مايتوصل به إلى معرفة مايجب في حق الله تعالى من صفات الكمال، ومايجب في حق رسله المعصومين، وملائكته الكرام واليوم الآخر وغير ذلك مما يتعلق بالعقيدة مما تواتر به النقل.

وقد رأيت ان أكتب لنفسي ولغيري من المسلمين عقيدة سنية ادين الله تعالى بها وتكون لي ذخرا يوم انفرد وحيدا في قبرى، وارجو أن أكون بها من الفائزين يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم، وقد اضفت إليها تعليقا منتقى من كلام ائمة السنة يوضح منها بعض المسائل التي لابد من تبيينها وشرحها وعسى هذه العقيدة والتعلق ان يكونا مبتغى الطالبين الراغبين في التمسك بالوجهة الصحيحة فيما يتعلق بالايمان عند أهل السنة.

ولاشك أنه بالايمان الجازم يكون النور الذي يضيىء للمسلم طريق الدنيا والآخرة، ولايمكن أن يحل هذا النور في قلب مليىء بالشكوك والشبهات، ولادواء انعج لازالة الشكوك وازاحة الشبهات من التشبث بالايمان الجازم المخرج من الريب والحيرة. لاسيما ونحن اليوم في هذا العالم المملوء بالآراء المضطربة الغارقة في تيارات متخبطة وأفكار متناقضة في متاهات من النظريات العوجاء.

والمسلم فيه بدون عقيدة راسخة حائر تائه فاقد لذاته ووجوده، واحرى أنه في كل حين يتسرب إليه سم ذعاف مبرقع بالحضارة الأجنبية بفرعيها : الغربي الصليبي الحاقد والشرقي الالحادي بشككانه في دينه وخالقه وفي آخرته التي لابد من أن تكون مصيره الابدى.

والانكى انه في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات صادقة تنادى بالتقارب بين كافة المسلمين وجمع شملهم، يسعى بعض المسلمين الى القاء الفرقة والشقاق والاختلاف بين الفرق الاسلامية وتحريك الاحن والضغائن بين أفرادها عن طريق مايكتبه أحيانا وينشره بين الناس، وأحيانا مايتفوه به في المجالس والأندية العامة، لايفتأ يضلل ويبدع كل من لم يرض عن مسلكه في الاسلام ويرميه بالمنديات.(+)

ومن هذا القبيل صدر تعليق من بعض المعاصرين تضمن الكثير من الطعن والانتقاد لنخبة من العلماء في القطر الموريتاني واتهمهم فيه بالضلال والابتداع، الأمر الذي جعلني ارد عليه في مواضع من تعليقه لاعيد الحق الى نصابه حتى لايلتبس الحق بالباطل ولاذب عن علماء خدموا هذه الشريعة خدمات لم يستطعها كثير ممن سواهم.

وسيلفى القارىء الردود في الفصل الثالث من هذا الكتاب، وأني لارجو من المنصف المتثبت الاغضاء عما قد يجده في هذا التأليف من هفوة صدرت عني أو خطا لم اتعمده فقد قل من ينجو من ذلك الا من عصم الله.

وأكاد اجزم بأن هذا الكتاب سيطلع عليه أحد رجلين : إما عالم قد اتسعت دائرة علمه متحل بروح الانصاف، قد طهر الله قلبه من رين الحسد وحفظه من كتمان الحق يعلم ان الحق مقصدى والانصاف مطلبي، وسيجد في هذا الكتاب الدعوة الى نهج طريق الحق القيم، وسلوك مهيع أهل السنة الواضح الخالي من الافراط والتفريط

وإما جاهل قد استوقد الحسد ضلوعه واستبهمت عليه معالم القصد والتبست عليه وجوه الرشدو، ديدنه التسرع والوقيعة في أعراض الناس وتهجين مايصدر عن

(+) المنديات : جمع مندية الكلمة يندى لها الجبين حياء

غيره، فسينظر اليه بعين السخط وربما تقتنص عيناه جملا دون ترومنه فيحكم عليه بما توهم انه فيه، والكتاب خلو منه.

وقد قسمته إلى أربعة فصول وخاتمة :

ــ الفصل الأول : في التعليق على مواضع من العقيدة وفيه عدة مباحث

ــ الفصل الثاني : يتضمن الرد على بعض المعاصرين في اعتراضه على وصف النبي ﷺ بأنه الملجأ والملاذ

ــ الفصل الثالث : في شرح الكرامة وفيه عدة مباحث هامة تتضمن بعض الردود

ــ الفصل الرابع : في معنى الولي وفيه مباحث تتناول شروط الشيخ وأوصافه ودور المدارس الروحية في المجتمع

ــ الخاتمة : في تصرفات وأقوال تصدر عن بعض أصحاب الطرق ليست من الشرع في شيء

ــ وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يجنبنا مكايد النفس ويرزقنا الاخلاص في العمل، وأن أكون من الطائفة التي لاتزال على الحق لايضرها من خالفها إلى يوم القيامة.

كتبه الفقير الى عفو ربه الطالب خيار بن مامين بن سيدي محمد الملقب سداتي بن الشيخ ماء العينين

مدخل الى العقيدة

أقول وبالله التوفيق إنه يجب على المكلف أن يعرف من صفات الله تعالى مادل الدليل على وجوبه له فقط لامعرفة كل الصفات لان معرفة جميع صفات الله تعالى وحصرها من قبل المخلوق لايمكن ولا يتأتى وعليه فإني أعتقد اعتقادا جازما وأقر بلساني : أن الله تبارك وتعالى موجود هو الأول بلا ابتداء وهو الآخر بلا انتهاء باق لايفنى قال تعالى : «كل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وانه تعالى مخالف لخلقه لايشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه صفاته ليست كصفات المخلوقين لاتتصوره الأفكار ولا تدركه الافهام(1) قال تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

الفصل الأول

(1) اعلم انه لايجوز لمن يعتبر وينظر في آيات الله ومخلوقاته أن يتجاوز ذلك وينظر في ذاته تعالى وفي الحديث الذي رواه الامام السيوطي في كتابه الجامع الصغير : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله. ذلك أن العقول قاصرة وعاجزة عن إدراك حقيقة ذات الله تعالى وصفاته.

والحاصل أنه يجب على المكلف أن يعتقد أن ثم موجودا وهو الله تعالى لامثل له ولاصورة له لايحاط بجلاله وكنه عظمته قال تعالى : «ولايحيطون به علما» لايضبطه العقل ولا يدركه البصر قال ميحى الدين بن عربي نحن نعلم أنه موجود واحد في الوهيته وهذا هو العلم الذي طلب منا غير عالمين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه عليها قال العارف بالله العلامة محمد فال بن متالى :

ومـوقـن وجـود رب واعـتـرف ... بالعجز عن ادراكه فقد عرف

ولـيس ذنب فـوق ذنب الخائض ... بالفكـر في ذات الـعلي الخافض

مالنفك حادث عن الجهل به ... من أين للحادث علم ربه

غاية علم العلما ومنتهى ... ادراك أربـاب العقول والنهى

أن يقطعوا أن لهذا الخلق ... مخترعا أوجده بالحق

متصفا بصفة الكمال ... منزها عن ضدها المحال

=وطـــرق المعرفـــة الكبـــار | عيـــان او مثـــال أو اثـــار
فـــأول منعـــه الجبـــار | اذ قـــال لاتدركـــه الأبصار
والثـــانى أيضا لم يضح للعـــقلى | لقولـــه لـيس لـــه مـــن مـــثلى
لم يـــق بعـــد ذا سوى أثـــارى | قدرتـــه في العـــالم السيـــارى

يقول الأستاذ المعاصر محمد متولى الشعراوي أن الذي اتعب الفلاسفة والمفكرين وأفسد منهجهم فجعلهم يتخبطون في متاهات لانهاية لها هو انتقالهم من منطقة التعقل إلى منطقة التصور ولو أنهم اقتنعوا بالتعقل وتركوا للقوة ان تعلن عن نفسها لكفينا ذلك النزاع الفكري الذي لم يأت بطائل وضرب الأستاذ الشعراوي مثالا حيث قال : هبنا في حجرة مغلقة ثم سمعنا جرسا يرن نتعقل جميعا أن طارقا بالباب ذلك هو منطق التعقل فإذا ماأردنا أن نتصور الطارق المحجوب عنا بالباب اختلفنا فمن قائل إنه رجل ومن قائل إنه امرأة ومن قائل إنه طويل أو قصير اذن فقد اختلفنا في منطقة التصور ولو اكتفينا بالتعقل لاتحدنا، فمن الذي ينبىء عن التصور؟

هو صاحب الشأن نفسه يقول اسمى كذا ومطلوبي كذا فقد حسم الأمر، اذن فالتصور للقوة المطلقة وراء ذلك الكون وهي التي خلقته بقدرتها وأمدته بقيوميتها أمر موكول إليها.

مبحث : مكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد لا تحصر ومن هذه المكايد الوسوسة التي يلقيها الشيطان أحيانا في نفس المؤمن بغية تشويش معتقده وزعزعته وقد تناول الكلام عليها كثير من العلماء الاجلاء كالمازرى وعياض والنووي والقرطبي والأبي والمناوى. وتعميما للفائدة نسوق كلامهم بعد ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في الصحيحين حيث قال : .(جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه إنا نجد في أنفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان) قال الامام النووي : معناه استعظامكم الكلام به صريح الايمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلا عن اعتقاده انما يكون لمن استكمل الايمان =

=استكمالا محققا وانتفت عنه الريبة والشكوك.. ان الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من أغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن أغوائه وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أراد قال علي القارى في كتابه المرقاة على المشكاة عند حديث الصحيحين المتقدم مانصه :

أي نجد في قلوبنا أشياء قبيحة نحو من خلق الله وكيف هو ومن أي شيء ومأأشبه ذلك مما يتعاظم النطق به لعلمنا انه قبيح لايليق شيء منها أن نعتقده ونعلم أنه قديم خالق الأشياء غير مخلوق فما حكم جريان ذلك في خواطرنا، وتعاظم تفاعل بمعنى المبالغة لأن زيادة المبنى لزيادة المعنى فإن الفعل الواحد إذا جرى بين اثنين يكون مزاولته أشق من مزاولته وحده ولذا قيل المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة أي نستعظم غاية الاستعظام وقوله أحدنا روى برفع الدال ومعناه يجد أحدنا التكلم به عظيما لقبحه ويجوز النصب على نزع الخافض أي يعظم ويشق التكلم به على أحدنا «قال أوجدتموه» الهمزة للاستفهام التقريري والواو المقرونة بها للعطف على مقدر أي أحصل ذلك وقد وجدتموه والضمير لما يتعاظم أي ذلك الخاطر في أنفسكم تقريرا وتأكيدا فالوجدان بمعنى المصادقة أو المعنى أحصل ذلك الخاطر القبيح وعلمتم أن ذلك مذموم غير مرضى فالوجدان بمعنى العلم «قالوا نعم قال ذاك» إشارة إلى مصدر وجد أي وجدانكم قبح ذلك الخاطر أو مصدر يتعاظم أي علمكم بفساد تلك الوساوس وامتناع نفوسكم وتجافيها عن التفوه بها «صريح الايمان» أي خالصه يعنى أنه إمارته الدالة صريحا على رسوخه في قلوبكم وخلوصها من التشبيه والتعطيل لأن الكافر يصر على مافي قلبه من تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات ويعتقده حسنا، ومن استقبحها وتعاظمها لعلمه بقبحها وأنها لاتليق به تعالى كان مؤمنا حقا وموقنا صدقا فلا تزعزعة شبهة وأن قويت ولا تحل عقد قلبه ريبة وأن موهت ولأن من كان إيمانه مشوبا يقبل الوسوسة ولا يردها، وقيل المعنى ان الوسوسة أمارة الايمان لأن اللص لايدخل البيت الخالي ولذا روى عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه أن الصلاة التي لاوسوسة فيها إنما هي صلاة اليهود والنصارى، انتهى من المرقاة ج 1 ص 114، وفي حاشية كنون على مختصر خليل في باب الردة : أن من حصل له وسوسة فتردد في=

....

=الايمان أو الصانع أو تعرض بقلبه لنقص أوسب وهو كاره لذلك كراهة شديدة ولم يقدر على دفعه لم يكن عليه شيء ولا اثم بل هو من الشيطان يستعين بالله على دفعه.

قال العلامة الحافظ الحجة الشيخ محمد العاقب بن مايابا دفين مدينة فاس في نظمه لنوازل العلامة القدوة الشهير سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم.

وما به يوسوس الشيطان والقلب يأباه هو الايمان

فلا تحاجج عنده اللعينا فإنه يزيده تمكينا

قال المناوى : الوسوسة لاتعطى ثبوت الخواطر واستقرارها فلذا أحالهم على الاعراض عنها «إشارة إلى قوله ﷺ فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه» قال الامام الغزالي من مكايد الشيطان حمل العوام ومن لم يمارس العلم ولم يتبحر فيه على التفكر في ذات الله وصفاته في أمور لايبلغها حد عقله حتى يشككه في أمر الدين أو يخيل إليه في الله خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا أو مبتدعا انتهى من فيض القدير.

قال الأبي عند حديث الوسوسة : وليقف عن التخطى إلى مابعد وجوده تعالى ومايجب له وما يستحيل عليه فإنه غاية ماينتهى العقل إليه ويكف عن التفكر فيما سوى ذلك.

وفي شرح النووي على مسلم عازيا للامام المازري أن الخواطر على قسمين : منها التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالاعراض عنها وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان امرا طارئا بغير أصل دفع بغير نظر في دليل اذ لا أصل له ينظر فيه.

وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لاتدفع الا بالاستدلال والنظر في أبطالها والله أعلم. قال المناوى : الشبه منها مايندفع بالاعراض عنها ومنها مايندفع بقلعه من أصله بتطلب البراهين والنظر في الأدلة مع امداد الحق بالمعرفة.

قلت : ومن هذه الشبه المستقرة مايقع كثيرا لبعض الطلاب أو التلاميذ الذين كانوا يدرسون الفلسفة الغربية في البلاد الاسلامية أو في البلاد الاوروبية فقد سمعناه=

= من بعض الطلاب مايدل على فساد عقديته = بسبب ماتعلمه وتلقاه من الملحدين والمشككين في تلك البلاد، ورأينا بعضهم قد استقرت في نفسه شبه لايمكن قلعها منه إلا بالنظر والاستدلال، ودراسة العقيدة الاسلامية دراسة تمعن وتعمق حتى تبطل عنده تلك الشبه الفاسدة، وينبغي للمسلم ان يحصن ولده بالعقيدة الاسلامية الصحيحة قبل انتسابه الى المعاهد والمدارس التي تنهج تعليما مخالفا لدين الاسلام.

[redacted] : تعلم الفلسفة المنقاة من آراء فلاسفة اليونان وغيرهم لاشك في جواز تعلمها، وكذلك يجوز تعلم الفلسفة العملية.

يقول العلامة عبد الله دراز في تعليقه على الموافقات عند قول الشاطبي : «ان كل علم لايفيد عملا فليس في الشرع مايدل على استحسانه قال دراز كالفلسفة النظرية الصرفة، أما الفلسفة العملية كالهندسة والكيمياء والطب والكهرباء وغيرها فليست داخلة في كلامه ولايصح أن يقصدها لأنها علوم يتوقف عليها حفظ مقاصد الشرع في الضروريات والحاجيات، والمصالح المرسلة تشملها.

وماذكره دراز أشار إليه العلامة محمد سالم بن عدود بقوله :

تعلـــم الفلسفـــة المتنبـــه ... للحس او للعقـل أو للتجربـة
يـــاذن الاسلام بـــه لاسيمـــا ... كان لتنـــظيم الشؤون سلمـــا
ورفـــع أطـــوار الحيـــاة امـــا ... مـــاكان ظنـــا اصلهـــا أو وهما
فهـــي التـــي تبرأ الاسلام ... منها فمـــا فيـــه لها استسلام

وكذلك يجوز تعلم المنطق، لكن تعلمه يتوقف على التفصيل الآتي : ذلك أن علم المنطق على قسمين :

القسم الأول : ماليس مخلوطا بعلم الفلاسفة كالمذكور في مختصر السنوسي ومختصر ابن عرفة ورسالة أثير الدين الابهري المسماة ايساغوجي، والتهذيب لسعد الدين التفتزاني وسلم الأخضر وغيرهم من المتأخرين، فهذا ليس في جواز الاشتغال به خلاف بل هو فرض كفاية لأن حصول القوة على ردِ الشكوك في علم الكلام الذي هو فرض كفاية يتوقف على حصول القوة في هذا العلم، ومايتوقف عليه الواجب فهو واجب. =

....

= القسم الثاني : ماهو مخلوط بعلم الفلاسفة وكفرياتهم ونظرياتهم الفاسدة، وهذا هو الذي وقع فيه الخلاف على ثلاثة أقوال :

أ ــ فابن الصلاح والامام النووي وأكثر أهل العلم من المحدثين والفقهاء قالوا : إنه يحرم الاشتغال بعلم المنطق المخلوط بالفلسفة الذي على النمط اليوناني حذرا من أن يتمكن من قلب متعاطيه بعض الكفريات والعقائد الزائغة، المشتملة على الضلالات.

ب ــ طائفة من العلماء منهم الامام حجة الاسلام الغزالي فقد قالوا ينبغي تعلمه حتى قال الامام الغزالي : من لامعرفة له بالمنطق لايوثق بعلمه.

ج ــ القول الثالث التفصيل : بين الذكي الذي يثق من نفسه بصحة ذهنه مع ممارسته للكتاب والسنة فيجب عليه أو يندب لكونه حصن عقيدته وبين الغبي البليد، أو الذي لم يمارس الكتاب والسنة فلا يجوز له تعاطيه بل يمنع منه حذرا من أن تتسرب إلى قلبه شبه الفلاسفة وأضاليلهم فتتمكن منه.

وفي حاشية الصبان على السلم : انه يوخذ من التعليل ان المدار على تحصين العقيدة حتى لو حصنها كامل القريحة بممارسة غير الكتاب والسنة ككتب الكلام التي لاهل السنة جازله المخلوط.

والقول بالتفصيل هو الذي اختاره الامام تقي الدين السبكي فقد رُوي أنه لما سئل عنه قال : ينبغي أن يقدم على الاشتغال به الاشتغال بالكتاب والسنة والفقه، فإذا رسخ في الذهن تعظيم الشريعة، ولقي شيخا حسن العقيدة، فهو من أحسن العلوم وانفعها في كل بحث.

قال الأخضري في السلم في بيان جواز الاشتغال به واختلاف العلماء في تعلمه :

والخلف في جواز الاشتغال ... به على ثلاثة اقوال
فابن الصلاح والنواوي حرما ... وقال قوم ينبغي أن يعلما

....

= والقولة المشهورة الصحيحه جوازه لكامل القريحه
ممارسة السنة والكتاب ليهتدي به الى الصواب

قال ابن حجر الهيثمي في كتابه فتح المبين لشرح الاربعين :

ان المنطق الذي بأيدي الناس علم مفيد لامحذور فيه بوجه وإنما المحذور فيما كان يخلط به قبل من الفلسفيات المنابذة للشرائع، وأثنى الهيثمي على المنطق المنقى من الآراء الفاسدة وقال إنه آلة من آلات الشرع وذكر ان محل تحريم ابن الصلاح له إنما هو المنطق الممزوج بالفلسفة وفروعها من الآلهيات، وفي حاشية الصبان على السلم أن المنطق غير المخلوط بشبه الفلاسفة يجوز تعلمه مطلقا لفقد المحذور.

قلت : وقد ذكر أيضا الامام العلامة المعمر فريد عصره المختار ابن بونه في نظمه المسمى : تحفة المحقق في حل مشكلات علم المنطق ان المنطق الذي خلصه علماء المسلمين من شبهات الفلاسفة وصقلوه من العقائد الفاسدة لاشك في جواز تعلمه قال رحمه الله :

وان تقل حرمه النواوي وابن الصلاح والسيوطي الراوي
قلت أرى الأقوال ذي المخالفة محلها ماصنف الفلاسفة
اما الذي خلصه من أسلما لابد أن يعلم عند العلما
لانه المصحح العقائدا ويدرك الذهن به الشواردا

وانه تعالى غني، قال تعالى : «يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد»(2) وأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله قال تعالى : «قل هو الله أحد الله الصمد» وأنه تعالى حي بحياة أزلية قائمة بذاته تعالى مغايرة للحياة الحادثة قال تعالى : «هو الحي لااله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين» وأنه تعالى عالم بعلم أزلي قائم بذاته تعالى ينكشف به كل معلوم على ماهو به في الواقع أو على ماسيكون عليه في المستقبل، قال تعالى : «ان الله بكل شيء عليم».

وأنه تعالى مريد بإرادة قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص كل ممكن ببعض مايجوز عليه من وجود أو عدم وزمان ومكان وجهة ولون ومقدار بقطع النظر عن أي مؤثر خارجي قال تعالى : «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا» وأنه تعالى قادر بقدرة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن أو اعدامه وتكييفه على وفق الارادة قال تعالى : «يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير»(3).

---

(2) أي أنه سبحانه وتعالى غير مفتقر إلى موجود يوجده ولا إلى محل يقوم به فقد كان الله تعالى قبل وجود أي شيء وقبل وجود الزمان والمكان.

(3) أي أنه تعالى يتصرف في ملكه على مقتضى علمه وارادته بما يجب لذاته من القهر والسلطان في تدبير شؤون خلقه والتصرف في جميع الأكوان لايسأل عما يفعل من غير أن تعلل أفعاله بالأغراض وإن كانت تنزه عن العبث في حين أنه يستحيل أن تخلو عن الحكم والأسرار وأن خفي شيء منها عن أنظار البشر. =

....

مبحث : سمعت شيخنا محمد يحي بن الشيخ الحسين يقول أثناء الدرس : من المعلوم أن الغرض والعبث مستحيلان على الله تبارك وتعالى، والغرض والعبث شيئان متنافيان لكن في بادىء الرأي أن الشيء لايمكن أن يكون إلا لغرض أو عبث لا واسطة وقال رحمه الله أن التوفيق بينهما هو أن هذا غير متناف أي أنه يستحيل عليه الغرض بحيث يحصل له كمال بالفعل أو نقص بعدمه، ويستحيل عليه العبث بحيث يفعل مالا مصلحة فيه لشيء. وما قاله الشيخ صحيح في نفسه ومنه يتبين أن «فعل الله تعالى لايخلو من جلب مصلحة أو دفع مفسدة لايتكمل بهما».

قال الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي :

أما الآيات والأحاديث الموهمة لثبوت العلل والأغراض لله تعالى بسبب استعمال لام التعليل كقوله تعالى : «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» وقوله : «وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا» فليست على ظاهرها الذي نتصوره من التعليل الحقيقي اذ لو كانت كذلك لاقتضى الأمر أن يكون الله جل جلاله مستكملا ألوهيته بعبادة الناس له ولذلك احتاج إليها فخلق الناس من أجلها، ولاقتضى الأمر أنه احتاج إلى إحياء البلاد بالنبات وسقى الناس فلم يكن بد لتحقيق ذلك من انزال المطر، وأنت تعلم بالبداهة أن هذا التصور محال على الله فالله غير محتاج إلى شيء ثم هو الخالق للعلة والمعلول.. فاللام في مثل هذه الآيات إنما هي تعبير عن العلة الجعلية لاعن العلة الحقيقية أي تعلقت إرادة الله بايجاد الانسان وبتكليفه بمستلزمات العبودية له، كما تعلقت إرادته بانزال المطر وبانبات الأرض وبأن يكون الأول علة للثاني برابط من محض مشيئته وقدرته. انتهى من كبرى اليقينيات ص 146.

قال العلامة الفقيه عبد القادر بن محمد آل محمد سالم :

وأعلم بأن الفعل للأغراض في ... حق الهنا العظيم منتقى
كالفعل بالتعليل أو بالطبع ... فإنه في حقه ذو منع =

....

مبحث : يجب الجزم بأن أفعاله تعالى وتشريعاته ليست لأغراض ودواع وأنها لاتخلو من الحكم والمصالح غير أن تلك الحكم والمصالح منها مابينه لعباده كقوله : تعالى : «ولكم في القصاص حياة» وفي القرآن الكريم آيات كثيرة بين الله فيها لعباده المصالح والحكم التي أرادها مما أحدثه من الأفعال أو شرعه من التكاليف والأحكام ومنها ماهتدى العلماء الى معرفة حكمته ككثير من الأحكام التي استنبطوا عللها وفوائدها كقوله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» فإن السرقة هي علة القطع، والحكمة فيها الزجر عن الجناية ومنها مااستأثر الله بعلمه، كما في تحديد الركعات للصلوات المفروضة وكثير من مناسك الحج ونحو ذلك مما لايعلم حكمته إلا الله تعالى ولايمكن للعقل البشري أن يهتدي إلى معرفته اذ هو فوق طاقته.

وأنه تعالى متكلم بكلام قديم قائم بذاته تعالى ليس(4) بحرف ولا صوت ولا يشبه كلام المخلوقين، والقرآن كلامه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

مبحث (4) اعلم أن كلامه تعالى صفة أزلية واحدة لانهاية لها لاتتعدد، تتعلق بكل معلوم من واجب وجائز ومستحيل به آمروناه ومخبر. قال الشيخ العربي اللوه : وكما يطلق الكلام عند علماء أصول الدين على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى يطلق أيضا على اللفظ الذي خلقه الله وليسْ لأحد في أصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول أم المومنين رضي الله عنها مابين دفتي المصحف كلام الله تعالى واطلاقه عليهما من قبيل الاشتراك بين النفسي واللفظي، وقيل حقيقة في النفسي مجاز في اللفظي.

وسمعت استاذنا العلامة محمد يحي بن الشيخ الحسين رحمه الله تعالى يقول أثناء الدرس : الصحيح في صفة الكلام أنه صفة من صفات الله تعالى قديمة متحدة لاتتنوع ولا تتعدد وإنما الذي يتنوع ويتعدد هو متعلقها يتنوع ويتعدد لأمر ونهي وخبر وقصص وقال رحمه الله : القدرة صفة واحدة والذي يتنوع ويتعدد متعلقها فالعالم كله متعلقها وهي واحدة، وسأل أحد الحاضرين العلامة محمد يحي رحمه الله عن شبهة يرددها بعض الناس وهي ان كلام الله قديم النوع حادث الأفراد فرد عليه بما نصه : هذا لايصح لأنه لايوجد نوع لا آحاد له أي يستحيل قدم نوع لا أفراد له لأن النوع منسحب على أفراده.

....

= قلت : ومما يلفت الانتباه هو ان القائلين بقدم النوع وحدوث الافراد هم اليهود، وإليك ماذكره العلامة محي السنة زاهد الكوثرى قال رحمه الله : ان ابن ملكا اليهودي الفيلسوفي هو الذي زعم أن اللفظ حادث شخصا قديمٌ نوعا يعنى أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثا حتما لكن مامن لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه الى مالا أول له فيكون قديما بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا الخرف تعالى الله عن افك الأفاكين ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه وأن القول بحوادث لا أول لها هذيان لأن الحركة انتقال من حالة الى حالة فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقا بالغير فوجب أن يكون الجمع بينهما محالا، ولأنه لاوجود للنوع إلا ضمن أفراده، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان انتهى من مقالات الكوثرى ص 28

(تنبيه) : لا يجوز لمن يومن بالله واليوم الآخر أن يشبه كلام الله بكلام خلقه ولا يجوز له أن يقول أن صوت العبد بالقرآن وحروفه قديمة، وقد عد العلامة عبد القاهر بالغدادي في الفرق الضالة فرقة المشبهة الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه فزعموا أن كلام الله تعالى أصوات وحروف.

انظر كتاب الفرق بين الفرق ص 217 وقال : الشهرستاني في معرض كلامه عن الحشوية انهم قالوا في القرآن أن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية أنظر كتاب الملل والنحل ج 1 ص 106

مبحث : لابأس بتقديم كلمة عن التعريف بطائفة الحشوية أن لقب الحشوية أطلق على طائفة من أصحاب الحديث أجروا الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها دون تبصر حتى وقعوا في الاعتقاد بالتجسيم وأول ظهور هذه الطائفة في زمن الحسن البصري وذلك أن حلقة الحسن كان يحضرها نبلاء أهل العلم وقد حضر مجلسه يوما أناس من رعاع الرواة السذج ولما تكلموا بالسقط عنده قال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها فسموا الحشوية وهذه الطائفة مسرفة في التشبيه ومنهم نشأت فرق =

=المشبهة، وأعلم أن بداية ظهور التجسيم صادر عن أصناف من الروافض، وأول من أعلن التجسيم ودعا إليه المغيرية وهي فرقة من غلاة الشيعة أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي الذي أحرقه خالد بن عبد الله القسرى زعم هذا الضال أن الله تعالى جسم وأنه من نور على رأسه تاج وله أعضاء إلى غير ذلك من العبارات الفظيعة الموغلة في الكفر أعاذنا الله من بلائه، ثم بعد هذا التعريف عن الحشوية نتناول نصوص علماء السنة الصريحة في الرد على مزاعمهم قال تقي الدين بن تيمية : في فتاويه المجلد 12 ص 237 مانصه :

من عتقد أن المداد الذي في المصحف وأصوات العباد قديمة أزلية فهو ضال مخطىء، مخالف للكتاب والسنة، واجماع السابقين الأولين وسائر علماء الاسلام، ولم يقل أحدٌ قط من علماء المسلمين أن ذلك قديم، لامن أصحاب الامام أحمد ولا من غيرهم ومن نقل قدم ذلك عن أحد من علماء أصحاب الامام أحمد ونحوهم فهو مخطىء في هذا النقل، أو متعمد للكذب.

وفي نفس الجزء ص 594 ـــ والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه : كما ثبت بالكتاب والسنة واجماع السلف وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته، فإن الله ليس كمثله شيء : لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.
انتهى من الفتاوى

قال الامام الحليمي : من زعم أن حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومست جوارحه وسكنت قلبه وأي فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة تحدت بعيسى عليه السلام انتهى من المنهاج.

قال شيخ السنة الامام البيهقي : القرآن الذي نتلوه كلام الله تعالى وهو متلوبا لسنتنا على الحقيقة مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا مسموع بأسماعنا غير حال في شيء منها اذ هو من صفات ذاته غير بائن منه وقال : أما قراءتنا وكتابتنا وحفظنا فهي من كسبنا وكسبنا مخلوق لاشك فيه قال الله عز وجل : «وافعلوا الخير لعلكم =

= تفلحون» وسمي رسول الله ﷺ تلاوة القرآن فعلا قال الاحسد الا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، فيقول لو أوتيت مثل ما أوتى هذا لفعلت كما يفعل ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه فيقول : لو أتيت مثل ماأوتى هذا عملت مثل مايعمل، انتهى من الأسماء والصفات ص 258.

قلت : الحديث كما في صحيح البخاري هو

عن أبي هريرة (أن رسول الله ﷺ قال : لاحسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ماأوتي فلان فعملت مثل مايعمل).

قال : سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في عقيدته مانصه متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادا في الألواح والأوراق شكلا ترمقه العيون والأحداق كما زعم أهل الحشو والنفاق بل الكتابة من أفعال العباد ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة ويجب احترامها لدلالتها على كلامه كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته وقال عز الدين فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد أو رسم من أشكال المداد.

وفي تعليقه على كتاب كذب المفترى لابن عساكر يقول الكوثري ان الامام أبا الحسن الأشعري سعى للاصلاح بين الفريقين من الأمة بارجاعهما عن تطرفهما إلى الوسط العدل قائلا «للمعتزلة» أنتم على الحق اذا كنتم تريدون بخلق القرآن اللفظ والتلاوة والرسم وللآخرين «أي أهل السنة» أنتم مصيبون اذا كان مقصودكم بالقديم الصفة القائمة بذات الباري غير البائنة منه ــ كما يقول ابن المبارك يعنى الكلام النفسي وليس لكم مجال أن تنكروا حدوث لفظ اللافظ وتلاوة التالي كما أنه ليس للأولين نفي الصفة القائمة به تعالى من غير لفظ ولا صوت اهـ

وقد سمعت : أكثر من مرة العلامة محمد سالم ابن عدود يقول : اثناء شرحه لصفة الكلام ان الحروف المنطوقة التي نكيفها من الهواء بالضغط بين قارع ومقروع =

= من حلق أوفم أو شفتين وكذلك الصوت الذي هو الهواء الخارج من الرئتين مع القصبة البيضاء مارا بالحلق فالفم فالشفتين وكذلك الحروف المكتوبة التي هي نقوش بالمداد على قرطاس كل هذا محدث لأن هذه الأمور من صفاتنا وأفعالنا وصفاتنا وأفعالنا محدثة مثلنا، ولكن المقروء المكتوب المتلو المحفوظ في الصدور كلام الله تعالى وهو قديم غير مخلوق.

وأنه تعالى بصير ببصر أزلي يبصر جميع المبصرات ليس بحدقة تعالى الله عن صفات المخلوقين وعقول البشر عاجزة عن الوصول إلى معرفة كنه سمعه تعالى وبصره(5) اذ ذاك فوق طاقة البشر وحسبنا في مثل هذه الصفات الاعتماد على النقل اليقيني والنص القطعي، والتفويض أسلم وهو نهج السلف الصالح حيث أثبتوا ماأثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ على نحو يليق بكماله من غير تشبيه ولا تعطيل وعلينا أيضا أن نكل تفصيل المقصود من نصوص الآيات والأحاديث المتشابهة إلى الله مع تنزيهه(6) عز وجل عن كل نقص ومشابهة للحوادث.

---

(5) السمع والبصر هما : صفتان ينكشف بهما كل موجود قديما كان أوحادثا انكشافا لايحتمل النقيض لا عن طريق حاسة ووصول هواء.

قال الامام الحليمي : السميع المدرك للأصوات سواء عنده الجهر والخفت من غير أن يكون له أذن والبصير المدرك للأشخاص والألوان من غير أن تكون له جارحة العين.

مبحث :

(6) أقول وبالله التوفيق : اتفق أهل الحق وأيمة الهدى سلفهم وخلفهم على وجوب تنزيه الله تعالى عن كل مايقتضيه ظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

= من الصفات المنافية لكمال الباري تعالى، كما اتفقوا على وجوب تأويل أي نص وصرفه إن أوهم ظاهره تشبيه الله بخلقه قال العلامة المقرى في الاضاءة :

والنص إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره اجماعا واقطع عن الممتنع الأطماعا

وقال اللقاني في الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

ومعلوم أن المتشابه ماليس بواضح الدلالة على معناه مما لايتبين : المراد من لفظه فيدخل في المتشابه بهذا المعنى كل نص تجاذبته الاحتمالات حول المعنى المراد منه وأوهم بظاهره التجسيم والتشبيه والجهة والمكان كقوله تعالى : «يد الله فوق أيديهم» وقوله : «الرحمان على العرش استوى» وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه بالمخلوقات والتي يجب أن ننزه عنه البارى تعالى وقد نفاها عن نفسه في آيات محكمات قاطعة في دلالتها لاتحتمل الا معناها الصريح الواضح كقوله تعالى : «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» وقوله تعالى : «قل هو الله أحد ألله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» فيجب على المؤمن اتباع هذه النصوص المحكمة، وبناء عقيدته عليها، وجمهور السلف لم يؤولوا من المتشابه على التفصيل والتعيين ماله محامل في لغة العرب، وقالوا نعتقد أن ظاهره غير مراد ونفوض علمه الى الله تعالى مع الايمان بأن الله منزه عن مشابهة خلقه، وقالوا : نومن بجميع الآيات والأحاديث التي ورد فيها المتشابه مع تنزيه الباري عن كل مالا يليق به مما تقتضيه ظواهرها المنافية للالوهية والربوبية.

قال صاحب الاضاءة :

وماله محامل الرأي أختلف فيه وبالتفويض قد قال السلف
من بعد تنزيه وهذا أسلم والله بالمراد منها أعلم

قال الامام السبكي : أجمع السلف والخلف على تأويل الآيات المتشابهة تأويلا اجماليا بصرف اللفظ عن ظاهره المحال على الله تعالى، لقيام الأدلة القاطعة على أنه تعالى مخالف للحوادث. راجع اتحاف الكائنات للسبكي اهـ =

= وأما الخلف وهم من كانوا بعد القرون الثلاثة أو بعد الخمسمائة على الخلاف المعروف، فمع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ذهبوا إلى تأويل اللفظ المتشابه بمعنى ليس من المستحيل اطلاقه على الله تعالى قصدا منهم الايضاح وفرارا من التشبيه ورأوا التأويل بما يعطيه لسان العرب من المعاني اللائقة بجلال الله تعالى أحكم وأسلم من شبه الشيطان ووسوسته بمالا يليق اعتقاده في ذات الله تعالى العلية وصفاته السنية لأن القرآن والحديث كل منها باللسان العربي ففيهما مافي اللغة العربية من المجاز والاستعارات والكنايات ونحو ذلك، وفهم القرآن والحديث متوقف على معرفة اللغة وفهم أساليبها.

قال : مجاهد لايحل لأحد يومن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالما بلغات العرب.

قال الامام الشافعي : في الرسالة — ص — 52 (فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ماتعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ماخوطب به فيه وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه انه يراد به غير ظاهره).

وأعلم : أن التأويل منقول عن بعض كبار الصحابة كما نص عليه العلامة الشوكاني في ارشاد الفحول فيما يدخله التأويل من أصول الدّيّانات وصفات الباري قال مالفظه : وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب :

الأول : أنه لامدخل للتأويل فيها بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شيء منها وهذا قول المشبهة.

والثاني : أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل.. =

= والثالث : انها مؤولة.

قال ابن برهان : والأول من هذه المذاهب باطل والآخران منقولان عن الصحابة، ونقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة انتهى منه ـــ ص ـــ 176، وإذا تأملت كلام الشوكاني تجده ذكر أن المذهب الأول باطل اذ هو مذهب المشبهة الذين قالوا ان النصوص المتشابهة لا تؤول بل تجرى على ظاهرها وتجده ذكر أن المذهب الثالث الذي هو التأويل منقول عن بعض الصحابة وهذا يعضد مذهب القائلين بتأويل النصوص المتشابهة، وواضح مما تقدم من كلام الشوكاني أن التأويل له سلف من كبار الصحابة، وقد ثبت عن الامام أحمد أنه أول تأويلا تفصيليا كالخلف، ففي كتاب البداية والنهاية لابن كثير الجزء العاشر ـــ ص ـــ 327 (عن البيهقي ان الامام أحمد تأول قول الله تعالى : «وجاء ربك» أنه جاء ثوابه) تأمل، واذا أمعنت النظر في نهج المشبهة تجدهم قد حملوا جميع المتشابهات الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف على ظاهرها فنسبوا للباري تعالى المجيء والوجه والعين واليد والمكان وغير ذلك من أنواع التجسيم، ومن أشنع الطوائف المجسمة طائفة الكرامية اصحاب محمد بن كرام المطرود كان ابن كرام هذا موغلا في التجسيم قال في كتابه عذاب القبران معبوده على العرش استقرارا وأنه بجهة فوق ذاتا وأن العرش مكانا له وأنه جسم له حد ونهاية إلى غير ذلك من العبارات الفظيعة انظر كتاب الفرق بين الفرق والملل والنحل.

وقال الشهرستاني : ان الحشوية حملوا ماورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك على ظاهرها أي مايفهم عند الاطلاق على الأجسام.. وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود فإن التشبيه فيهم طباع.. وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن ان الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية، انظر الملك والنحل ـــ ج ـــ 1 ص ـــ 106.

قول الشهرستاني «وأكثرها مقتبسة من اليهود»، لقد رأيت كلاما لبعض العلماء يعضد قوله فقد ذكر العلامة زاهد الكوثرى في تعليقه على كتاب كذب المفترى :=

....

=أن عدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى أظهروا الاسلام في عهد الراشدين ثم أخذوا بعدهم في بث ماعندهم من الأساطير بين من تروج عليهم ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواة وبسطاء مواليهم فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن معتقدين مافي أخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم وقد يرفعونها افتراء الى الرسول ﷺ أو خطأ فأخذ التشبيه يتسرب الى معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة ولم يكن بنو أمية كالراشدين في السهر على معتقد المسلمين الا فيما يمس بسياستهم).

وقد سمعت مرة ألفاظا صدرت من بعض(1) من يزعم أنه من أهل العلم تدل على التجسيم الصريح وتبين لي من خلال محادثته انه يعتقد صحة تلك الألفاظ التي تفوه بها، عندئذ تيقنت أنه يتحتم على العلماء وخصوصا من له معرفة بعلم التوحيد أن يقوموا بنشر وتدريس العقائد الاسلامية على الوجه الصحيح اللائق بجلال الله وكماله ويوضحوا النصوص الموهمة ويؤولوها على الوجه اللائق بالله تعالى هذا مع العلم أن التأويل منقول عن بعض كبار الصحابة كما أشرنا إليه آنفا.

قال العلامة المحدث الحجة محمد حبيب الله بن مايانا : وما عليه مشبهة هذا الزمان من ابقاء ظاهر المتشابه على حاله واعتقاد ظاهره مع دعوى أنهم مفوضون مع ذلك، فهو ضلال بعيد وكذب ليس عليه في الكذب من مزيد فهم بتلك العقيدة مجسمون تجرى عليهم احكام الطائفة المجسمة وقد اختلف فيها فقيل بكفرها، وقد جزم السيوطي في النقابة وشرحها بكفر المجسمة بلا نزاع، انتهى من زاد المسلم ج 4 ــ ص ــ 326. وجزم النووي في شرح المهذب في صفة الصلاة، بتكفير المجسمة. =

(1) كان المشار إليه مدرسا باحدى الدول العربية ثم احيل الى المعاش، وعاد الى موريتانيا، وكل من يلتقى بالسيد المشار إليه لأول وهلة، يظن أنه من العلماء لكن بعد المذاكرة يجده متشبعا بما لم يعط، واذا اكثر علمه هو أسماء الكتب والمؤلفين، وعناوين العبارات دون المعاني قليل المعرفة بعلم التوحيد، ولم تكن له مشاركة تذكر في الفنون الأخرى، ولاخبرة له بمدلولات الألفاظ، ولم يكن مهذبا بنور العلم في كتابته التي تصدر عنه احيانا، الطافحة بشتم وسب الأولياء والعلماء، المليئة بالاخطاء العلمية والمعلومات غير الدقيقة وكانت عبارات التشبيه تظهر في فلتات لسانه من حين لآخر غير مكترث فيما يصدر عنه في جناب النبي ﷺ. =

= قلت وليحذر المرء من تأويل يؤدى الى التعطيل فان المعطلة هم شر خلق الله فقد انزلق بهم فهمهم الفاسد الى سوء التأويل فعطلوا الله تعالى عن صفات الكمال الواردة في القرآن الكريم.

والمهم كما يقول العلامة المحقق محمد سعيد رمضان البوطي : أن لاتنسب إلى الله جارحة من خلال فهمك لكلمة اليد التي نسبها الى ذاته، وأن لاتعطل الدلالة اللغوية الثابتة بكلام الله عز وجل، سعيا بزعمك وراء التنزيه وبعدا عن مزالق التشريك انتهي من كتابه السلفية ص 123 ــ وليحذر المرأ أيضا من حمل ايات الصفات واحاديثها على ظاهرها الموهم تشبيه الله تعالى بخلقه فإن ذلك تجسيم ومدعاة الى الكفر ولكن يمرها من غير تعطيل ولا تشبيه، قال الامام ناصر السنة الامام عبد الرحمان ابن الجوزي الحنبلي : «عجبت من أقوام يدعون العلم، ويميلون الى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا.. ولكن أقواما قصرت علومهم، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا

فأما من قال : الحديث يقتضى كذا، ويحمل على كذا، مثل أن يقول : استوى على العرش بذاته، وينزل إلى السماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل ــ واعلم أيها الطالب للرشاد، انه سبق الينا من العقل والنقل أصلان راسخان عليهما مر الاحاديث كلها

أما النقل فقوله سبحانه وتعالى : «ليس كمثله شيء» ومن فهم هذا لم يحمل وصفا له على ما يوجبه الحس

وأما العقل فإنه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات، واستدل على حدوثها بتغيرها، ودخول الانفعال عليها، فثبث له قدم الصانع، انتهى من صيد الخاطر لابن الجوزي ص 124

مبحث : قال ابن رشد نهى مالك أن يتحدث بالاحاديث التي يقتضى ظاهرها التشبيه مخافة أن يسمعها الجهال الذين لايعرفون تأويلها فيسبق الى ظنونهم التشبيه بها وسبيلها ــ واذا صحت الروايات بها ــ أن تتأول على مايصح مما ينتفي به التشبيه =

= عن الله عز وجل بشيء من خلقه، كما يصنع بما جاء في القرآن مما يقتضي ظاهره التشبيه وهو كثير كالاتيان في قوله عز وجل : «هل ينظرون الا أن ياتيهم الله في ظلل من العمام والملائكة» والاستوى في قوله تعالى : «ثم استوى على العرش» انظر الجامع من البيان والتحصيل.

ـــ وفي صحيح البخاري قال علي كرم الله وجهه : حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون ان يكذب الله ورسوله، قال ابن حجر في الفتح:فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.

قال الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي : اعلم أن مذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم والأوفق مع الايمان الفطري المرتكز في كل من العقل والقلب.

ـــ ومذهب الخلف في عصرهم أصبح هو المصير الذي لايمكن التحول عنه بسبب ماقامت فيه من المذاهب الفكرية والمناقشات العلمية وبسبب ظهور البلاغة العربية معقدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة ـــ لم يكن بوسع الآيمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم واتساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلموا ذلك التسليم دون أن يحللوا هذه النصوص على ضوء ماانتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز خصوصا وان فيهم الزنادقة الذين لايقنعهم منهم التسليم، ويتظاهرون بالحاجة الى الفهم التفصيلي وإن كانوا في حقيقة الأمر معاندين.

لاشك أن ماقاله الأستاذ البوطي حق لامرية فيه والأنسب بعلماء كل عصر أن يخاطبوا أهله بما يفهمون وبما يقنعهم سواء كان ذلك في علم العقائد أو غيره. وينبغي لعلمائنا اليوم المتشبثين بالسنة، أن يقموا بمكافحة الشبه المتنوعة الدخيلة، على عقيدتنا الاسلامية بأسلوب علمي مقنع جامع بين التأويل والتفويض فيؤولوا كل مامن شأنه ان يكون فيه لبس أو ايهام لاسيما ونحن في هذا العصر الذي كثر فيه، الجهل وأصيب فيه جل الناس، بفساد العقيدة، وقلّ فيه تعلم العلوم الاسلامية وظهرت فيه من جديد، بعض الطوائف التي تزعم التمسك بالاسلام، بعضها يعتقد صريح التجسيم. =

=والبعض الآخر يحاول، تحريف القرآن، ويعتقد عصمة الأفراد، ويغالى في تقديس أيمتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونستخلص مما تقدم ان التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء ضرورة التأويل لأن الصحابة والتابعين يفهمون بسليقتهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ ولم يكن يصعب عليهم فهم مايستعصى فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحي ولم يقع في كلام أحد من الصحابة ولا التابعين شيء ينافى التنزيه.

وأما التأويل مع التنزيه فهو مذهب بعض كبار الصحابة كما ذكرنا سابقا ومذهب جمهور الخلف حيث دعتهم ضرورة التأويل لكثرة الساعين في الاضلال من المجسمة في زمنهم، وعملا بسياسة شرعية اقتضاها نظرهم عند ماتغير الوضع الثقافي في المجتمع الاسلامي، وأصبح في الأمة الأعاجم الذين يقرؤون القرآن لايفهمون أوضاع اللغة العربية، ولا أساليب العرب في كلامهم، فإذا لم يوقفوا عند تأويل معين، تشعبت بهم الآراء، فإما أن يكذبوا النص، وإما أن يشبهوا الله تعالى بخلقه، فرآ جمهور المتأخرين كالباقلاني وغيره، أن يصار الى تأويل يليق بجلال الله تعالى وكماله ويقبله الوضع العربي، وليس بين الفريقين خلاف حقيقي لأن كليهما منزه.

وفي هذا الموضوع يقول العلامة عبد الله بن الامام الجكني من نظم له :

(وبعض أهل العلم مال للسلف	وبعضهم قوى طريقة الخلف)
(وبعضهم وفق توفيقا حسن	كشارح المشكاة واسع العطن)
(فقال ماحاصله ان السلف	أول اجمالا وفصل الخلف)
(اذ صرفه عن ظاهر يستلزم	تأويله لابد يامن يفهم)
(اذ هو لاشك له معنى صحيح	فخذ هداك الله للنهج الصحيح)
(لكونهم قد تركوا التعيينا	لفقد في دهرهم الذينا)
(قد جسموا وشبهوا فابتدعوا	وبعد ذاك ظهروا فارتدعوا)
(بما من التأويل ابداه الخلف	لولا أولاء لاقتفوا نهج السلف)

واذا أوهم النص التشبيه وجب صرفه عن ظاهره باتفاق العلماء وإليه اشار العلامة عبد الله بن الامام في نظمه درر الفوائد في علم ماوجب من العقائد بقوله : =

=(هذا وما في النص مما أو هما شبها فعن ظاهره الحق سما)
(بل صرفه يجب باتفاق المقتدى بهم من الحذاق)
(ثم تفوض الى اللطيف امعناته من غير ما تكييف)
(كما على ذاك مضى جل السلف وأن تؤوله فقوت للخلف)
(هذا اذا تعدد المحامل الا فقولا واحدا يؤول)

وفي هذا المعنى يقول العلامة سعد بن الشيخ حسن من نظم له وقد نبه فيه أيضا الى مادس في كتب الامام الأشعري، والشيخ عبد القادر الجيلاني فقال :

(وكلما يخطر في قلب بشر او ينتهي فكر اليه او نظر)
(في جهة أو في مكان أو زمن منفصل او ذا تصال فاعلمن)
(فهو مخلوق وبالتاويل يجب صرف ظاهر التنزيل)
(وظاهر الحديث مثله يجب تأويل مالشبه مخلوق نسب)
(كالاستوى واليد والنزول والساق والكف مع القبول)
(وذلك التعبير عن معانى قدرته قرب للاذهان)
(أوله السلف ثم الخلف وفي خلاف ذين يخشى التلف)
(مثل اخذنا منه باليمين في نصه والقطع للوتين)
(والسلف العدل على التنزيه من غير تكييف ولا تشبيه)
(مفوضين الأمر فيما اشتبها مع صفاء في قلوب النبها)
(ثم على التأويل بعدهم سلف وخلف من بعدهم نعم الخلف)
(قد احكموا عقائد التوحيد على قواعد بلا مزيد)
(على طريقة الامام الاشعر إمام أهل السنة المحرر)
(وحسبنا ما في الاضاءة ثبت عن الامام الأشعري وروت)
(وكل من خالف عقد الأشعر فانني بنبذ عقده حرى)
(ولا تصخ لما تراهم نسبوا إليه في كتبه أو كتبوا)
(من كتبهم ونسبوه للاما م الأشعري كي يضلوا ذا العمى)
(كذاك مادس بنص الغنية لشيخنا القادر ذي المزية) =

=(مما يمج العقل والسمع ولا | يظنه به سوى من جهلا)
(عارضه ماصح عنهما لنا | واسندته العلماء الفطنا)
(كمثل ماوقع للشعراني | حياته ورد بالبرهاني)
(مادسه الاعداء في كتبه | لهذه النكتة فلتتنبه)
(نعوذ بالله من الضلال | في آخر الدهر ذى الاضمحلال)
(ونسأل الله عظيم المنة | ثباتنا على اتباع السنة)
(موفقين لامشبهينا | ولا معطلين مومنينا)
(على سبيل المصطفى التهامى | عليه منا افضل السلام)
(وافضل الصلاة ما الحق سما | وزهق الباطل عند العلما)

وتكميلا للفائدة نسوق فيما يلي قصيدة شيخنا الحافظ، العلامة، الورع، الزاهد، محمد يحي بن الشيخ الحسين رحمه الله تعالى في معتقد أهل السنة وهي :

آمن هديت وسلم ماأتاك به | خير البرية عن رب البريات
قف عند حدك لاتطلب لنفسك ما | لم يعطه أحد من سائر النات
الله عز وجل في الكتاب نفى | ادراكنا علم كنه الوصف والذات
كما نفى الله جل أن يشابهه | شيء فنخرج عن حيز الجهالات
وقد نهى أن نخوض ماتشابه من | ماجاءنا من أحاديث وأيات
والصحب مع تابعيهم ثم تابعهم | قد فوضوا واصطفوا سد المغارات
على ابن عباس الحبر الملا وقفوا | في الله لاتنظروا بل في الصناعات
نمر ماجاء من أي ومن خبر | فيه اشتباه صحيح في الروايات
لسنا نشبه لا ولا نعطل بل | ننزه الله عن درك الكمالات
وهذه العروة الوثقى فمن أخذت | بها يداه نجا من المضلات
ولست أنكر تأويلا بمتجه | من المجاز وتخييل استعارات
وقد قفاه هداة من أيمتنا | ذودا عن السعي في طرق الخيالات
لاكنه ربما أفضى بصاحبه | إلى انقطاع به وسط العميقات=

=خير الكلام الذي جلت افادتـه ... وقـل ألفاظـه سهـل العبـارات
اللـه ربي فـرد لاشبيـه لـه ... قل واستقم ووصاة المصطفى تات
عليه أزكى صلاة مابدا قمـر ... وما اهتدى من مشى وسط الجماعات
جنيـد توحيدنـا افـراد خالقنـا ... عن خلقه وهو هو ذو المقامات
فاروق في الأب قال من تكلفنا ... وقد نهى عنه تطلاب الحقيقـات
فكيف تطلاب من عن دركه حجبت ... خواطر الخلق من ماض ومن آت
وكثرة الخوض قد تفضى الى شبه ... وربما حـار خـريت بمومـات
عقيدة المرء رأس المال ان فسدت ... لاينظر الله في باقي العبـادات
ووقت تفتيشهـا ضيـق لمغتـرب ... مروع القلب عن حل العويصات
وما الخطا عند ذاك الوقت مرتجعا ... بنتج شكـل القضايا والـدلالات
هذا لعارف ذاك العلـم ياأسفـي ... فكيف من حظه نقـل المقـالات
نصحيـة مـن حفـي نـفسه قطـع ... من لبس ظهر الخضم بالأضيات
وخوض كل جهول ماتشابه مع ... جهل الصلاة ومع جهل البياعات
نرجو اللطيف بنا توفيق حجتنـا ... لاقوم القول في الأخرى وفي هات
وأن يخولنـا تشريـف تكرمـة ... برحمة منه في الدنـا وفي الآت
ووالـدي وصحبـي والمحب ومـن ... ادلى بعـرف وأهلي والقرابـات
بجاه أحمد ذى الجاه المعظم من ... فضلتـه بعظيمـات الشفاعـات
عليـه مـن صلـوات اللـه أطـيبها ... مع الصحاب ومن آل وزوجات.

مبحث : قال بعض العلماء إنه لا مجاز في القرآن وينسب هذا القول : لأبي اسحاق الأسفرايني من الشافعية، وابن خويز منداد من المالكية وهو قول بعض الظاهرية وبعض الحنابلة، ونسب الامام الغزالي القول بنفي المجاز في القرآن للحشوية كما في المتخول.. ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار إلها دمة لقواعد الباطنية الاشرار ان من قواعد مذهب الباطنية القول، بنفي المجاز في القرآن، وحمل الآيات المتشابهة على ظاهرها راجع صفة 199، وما بعدها من مشكاة الأنوار.

ورد أبو اسحاق الشيرازي الشافعي على حجج النافين للمجاز في القرآن كما=

=في التبصرة وقال : مالفظه : واحتجوا بأن استعمال المجاز لموضع الضرورة، وتعالى الله بأن يوصف بالاضطرار.

والجواب : أنا لانسلم أن استعمال المجاز لموضع الضرورة، بل ذلك عادة العرب في الكلام، وهو عندهم مستحسن، ولهذا تراهم يستعملون ذلك في كلامهم مع القدرة على الحقيقة، والقرآن نزل بلغتهم، فجرى الأمر فيه على عادتهم.

وقالوا : القرآن كله حق، ولا يجوز أن يكون حقا ولا يكون حقيقة.

الجواب : انه ليس الحق من الحقيقة، بسبيل، بل الحق في الكلام : ان يكون صدقا، وان يجب العمل به، والحقيقة : ان يستعمل اللفظ فيما وضع له، سواء كان ذلك صدقا أو كذبا، ويدل عليه : ان قول النصارى : «الله ثالث ثلاثة» وهو حقيقة فيما ارادوه، وقوله عليه السلام لرجاله : «يا أنجشة ارفق بالقوارير» وليس بحقية فيما استعمل فيه، وهو صدق وحق، فدل على أن أحدهما غير الآخر انتهى من التبصرة في أصول الفقه للشيرازى

قال الحافظ ابن رشد المالكي في المقدمات : وقد ذكر ابن خويز منداد من اصحابنا ان القرآن لامجاز فيه، وحجته ان القرآن حق ومحال ان يكون حقا ماليس بحقيقة، وهو خطا واضح لان الحق ليس من الحقيقة بسبيل، لأن الحق ضد الباطل، والحقيقة ضد المجاز، وقد يؤتى بحقيقة اللفظ ويكون الكلام باطلا، ويؤتى بالمجاز فيه ويكون الكلام حقا نحو : لو رأيت رجلا قد قاتل فأبلى بلاء عظيما فقلت رأيت اليوم أسدا قاتل فأبلى بلاء عظيما كنت قد قلت الحق ولم تأت بالحقيقة في اللفظ، اذ عبرت عن الرجل بالأسد وليس بأسد على الحقيقة، ولو قلت : قاتل فلان اليوم قتالا شديدا وهو لم يفعل لكنت قد قلت الباطل واتيت بحقيقة اللفظ دون تجوز فيه. انتهى من المقدمات الجزء الأول ص 28.

وشنع الامام الشوكاني على من نفى المجاز في اللغة العربية وقال بان من انكر المجاز لايستحق الرد، واعترض على من نفى المجاز في القرآن ورمى الظاهرية بالجمود لانكارهم للمجاز في القرآن وقال مانصه : وعلى كل حال فهذا لاينبغي الاشتغال بدفعه ولا التطويل في رده، فإن وقوع المجاز وكثرته في اللغة العربية أشهر من نار=

= على علم وأوضح من شمس النهار، قال ابن جني أكثر اللغة مجاز، وقد قيل ان أبا علي الفارسي قائل بمثل هذه المقالة التي قالها الأسفراييني، وما أظن مثل أبي علي يقول ذلك، فإنه امام اللغة العربية الذي لايخفى على مثله مثل هذا الواضح البين، الظاهر الجلي، وكما أن المجاز واقع في لغة العرب فهو أيضا واقع في الكتاب العزيز عند الجماهير وقوعا كثيرا بحيث لايخفى الا على من لايفرق بين الحقيقة والمجاز، وقد روى عن الظاهرية نفيه في الكتاب العزيز، وماهذا بأول مسائلهم التي جمدوا فيها جمودا يأباه الانصاف وينكره الفهم، ويجحده العقل، وأما ما استدل به لهم من أن المجاز كذب لأنه ينفى فيصدق نفيه وهو باطل، لأن الصادق انما هو نفي الحقيقة فلا ينافي صدق اثبات المجاز، وليس في المقام من الخلاف مايقتضي ذكر بعض المجازات الواقعة في القرآن والأمر أوضح من ذلك، وكما أن المجاز واقع في الكتاب العزيز وقوعا كثيرا فهو أيضا واقع في السنة وقوعا كثيرا، والانكار لهذا الوقوع مباهتة لايستحق المجاوبة، انتهى من ارشاد الفحول ص 20 ط المنيرية.

وكنت وقفت على رسالة لبعض العلماء في نفي المجاز في القرآن قال فيها ماملخصه :

ان القول بالمجاز في القرآن ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، لأن المجاز يجوز نفيه، فيلزم على القول بأن في القرآن مجازا، ان في القرآن ما يجوز نفيه، ولاشك أنه لايجوز نفي شيء من القرآن..

وقال في قوله تعالى : (جدار يريد ان ينقض) انه لامجاز فيه اذ لامانع من حمله على حقيقة الارادة المعروفة في اللغة، لأن الله يعلم للجمادات مالا تعلمه لها كما قال تعالى : (وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم)

وقد ثبت في صحيح البخاري حنين الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ.

وذكرت لشيخنا محمد يحيى بن الشيخ الحسين ماوقفت عليه في تلك الرسالة من نفي المجاز في القرآن، وقرأت عليه ماجاءا فيها بالحرف الواحد.

فرد استاذنا رحمه الله بكلام طويل قال فيه ماملخصه : اما قوله : المجاز يجوز =

=نفيه الخ الجواب : المجاز لايجوز نفيه باعتبار معنى المجاز، بل يجوز نفيه باعتبار الحقيقة، اذ كل مجاز يجوز نفيه باعتبار المعنى الذي تدل عليه الحقية. لاباعتبار المعنى الدال عليه المجاز، ولذا لو قلت : زيد اسد يجوز ان تقول زيد غير اسد باعتبار انه غير حيوان مفترس، لا باعتبار انه غير شجاع

وهكذا القرآن، فالمعنى الدال عليه القرآن في المجاز لايجوز نفيه ـــ والحقيقة غير المقصودة في القرآن يجوز نفيها، لأن القرآن لايدل عليها وليس بمعناها.

وقال : أما قوله : لامانع من حمل الارادة في الآية على حقيقتها، فالجواب أن الارادة صفة من صفات المعاني، والمعاني لايتصف بها الا الحي. وكذلك من قال ان القرية لاتتكلم كان صادقا لان تكلم الجدران لايصح لأن الكلام صفة من صفات المعاني.

والجدران جماد، والجماد لايوصف بالحياة، ومعلوم أن الحياة صفة تصحح لمن قام بها الاتصاف بغيرها من المعاني، وكل مالا يوصف بالحياة لايوصف بصفات المعاني.

وقال : رحمه الله أما الاستدلال يقوله تعالى وأن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم، فإن المعنى : يسبح باعتبار دلالته على وجود الله تعالى وصفاته.

وفي تفسير القرطبي : اختلف العلماء في هذا العموم هل هو مخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات.

وقال : أما حنين الجذع فإن ذلك من باب معجزاته ﷺ : انتهى كلامه ملخصا.

وأومن أنه تعالى استوى[7] على عرشه، كما أخبر لافوقية حيز ومكان، لايقارنه زمان ولا تحيط به الجهات، كفوق وتحت وقدام وخلف ويمين وشمال، اذ هذه الجهات، حادثة بحدوث الأشياء، وهو تعالى كان قبل خلق الزمان والمكان، لايحمله العرش بل العرش وحملته محمولون، بلطف قدرته.

مبحث : (7) اتفق العلماء المحققون أن استواء الله على العرش على الوجه الذي عني سبحانه وتعالى، منزها عن الاستقرار والتمكن.

قال : الامام البيهقي : يجب أن تعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر، بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن اتيانه ليس باتيان من مكان الى مكان، وان مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس نقلة وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة وأن عينه ليست بحدقة، وانما هذه أوصاف جاء بها التوقيف، فقلنا بها ونفينا عنها التكييف، فقد قال تعالى : «ليس كمثله شيء» وقال : «ولم يكن له كفوا أحد» انتهى من كتاب الاعتقاد.

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام : استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن =

= والحلول والانتقال فتعالى الله الكبير المتعالى عما يقوله أهل الغي والضلال، بل لايحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته مقهورون في قبضته أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

مبحث : تمسك بعضهم بظاهر حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي أخرجه مسلم في صحيحه، والحديث يتناول قصة الجارية واشارتها الى السماء، واستدلوا به على الجهة لله تعالى وقد فند شيخنا العلامة محمد يحي بن الشيخ الحسين، مازعموا وقال مانصه : لا يظن جاهل أن اشارة الجارية الى السماء تثبت بها الجهة لله، وأن النبي ﷺ أقرها على ذلك كلا بل اشارتها الى السماء احترازا من الأوثان، التي يعبد الكفار في الارض فلا يلزم من اشارتها الجهة، لأنها أشارت الى ان معبودها له علو الشأن، والمكانة، وانه ليس من معبودات الأرض السائدة آن ذلك.

قلت : وما ذكره استاذنا رحمه الله تعالى يعضده ماقاله بعض من تقدم من العلماء، كالبيضاوي، وابن العربي، ففي كتاب أوجز المسالك على موطأ مالك الجزء العاشر ــ ص ــ 367 مانصه : قال البيضاوي : لم يرد به السؤال عن مكانة فانه منزه عنه، والرسول أعلى من أن يسئل ذلك، بل أراد أن يتعرف أنها مشركة أو موحدة لأن كفار العرب كان لكل قوم منهم صنم، مخصوص يعبدونه، ولعل سفهاءهم كانوا لايعرفون معبودا غيره، فأراد أن يعرف ماتعبد فلما قالت في السماء، وفي رواية أشارت الى السماء فهم منها أنها موحدة، تريد بذلك نفي الأولهية الأرضية التي هي الأصنام، لا اثبات السماء مكانا له تعالى قال ابن العربي في العارضة : المراد بالسؤال بأين عنه تعالى المكانة فان المكان يستحيل عليه وأين مستعملة فيه وقيل استعمالها في المكان حقيقة وفي المكانة مجاز وقيل هما حقيقتان وكل جار على أصل التحقيق مستعمل على كل لسان وعند كل فريق..

قال أبو الوليد الباجي في المنتقى يقال مكان فلان في السماء بمعنى علو حاله، ورفعته وشرفه فلعل الجارية تريد وصفه بالعلوى وبذلك يوصف كل من شأنه العلو.

قال الامام عبد الرحمان ابن الجوزى الحنبلي في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف =

....

=التنزيه، ص 23 عند حديث الجارية مانصه : قد ثبت عند العلماء ان الله تعالى لاتحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الاقطار، وإنما عرف باشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها.

(وأومن بالقدر(8) خيره وشره وأنه سبحانه وتعالى قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، وأن لاضار ولا نافع الا الله كما ثبت في الكتاب والسنة.

[redacted] : (8) يجب على المسلم ان يؤمن بأن ماقدر الله سبحانه وتعالى في أزله لابد من وقوعه قال تعالى : (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها إن ذلك على الله يسير)، ويؤمن ان مالم يقدره الله تعالى يستحيل وقوعه وان الضر والنفع من الله تعالى قال تعالى : (قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) وانه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق جميع الخلائق، وانه علم ازلا بجميع افعال العباد وكل مايتعلق بالمخلوقات مما سيتوالى حدوثه في المستقبل. وفي شرح جوهرة التوحيد مانصه : مابرز شيء إلى الوجود ــ من خير او شر، من نفع او ضر ــ الا لتعلق العلم بوجوده والثابت ان تعلق العلم انما هو تعلق انكشاف، أي ان العلم يكشف الامر على ماهو عليه من غير سبق خفاء، فهو لايتعلق تعلق اجبار، فالذي تبرزه القدرة انما هو وفق تخصيص الارادة، والذي تخصصه الارادة انما تخصصه على وفق العلم. فقد علم الله ان أبا بكر سيؤمن ولايعاند فخصصت الارادة الايمان على الهيئة التي سيكون عليها، وفي الزمن الذي سيظهر به، ثم ابرزت القدرة ماخصصته الارادة فظهر ايمانه على=

....

= ماتعرفه فالعلم تعلق بايمان ابي بكر تعلق انكشاف لا اجبار فيه، كذلك قد علم الله تعالى ان ابا جهل سوف لايؤمن عنادا وحسدا، فخصصت الأرداة ازلا عدم ايمانه على الهيئة المعروفة، وفي الزمن الذي سيظهر به ثم ابرزت القدرة هذا العناد على ماعرفناه، فتعلق العلم بكفر ابي جهل تعلق انكشاف لا اجبار فيه. وقد قال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم، ولو أسمعهم لولوا وهم معرضون) هـ / ص / 210 ان الله تعالى علم ازلا ماسيفعله كل انسان فكتب سبحانه أعمال العباد على وفق علمه بها. وسئل الامام جعفر الصادق رضي الله عنه هل العباد مجبرون؟ فقال : الله اعدل من ان يجبر عبده على معصية ثم يعذبه عليها.

مبحث : يردد بعض الناس مقولة قديمة لاكتها الألسنة وهي لماذا يعاقب الله العبد على معصية قد كتبها عليه.

ان هذه الشبهة كثيرا ماينعق بها بعض ضعفة الايمان، في هذا العصر ممن تساوره الشكوك ويسبح في لجج الحيرة، وتتقاذفه امواج شبهات هذا القرن العاتية، حيث ضعف فيه سياج الاسلام الذي كان حصنا منيعا في وجه تسرب أي شبهة ضالة تسبب زعزعة معتقد المسلمين ومن أسباب ضعف هذا السياج، عدم تدريس علم العقائد الذي هو أول مهمة كلف الرسل بتبليغها إلى الناس، وعزوف المسلمين عن تعلم الشريعة الاسلامية وانجذابهم الى ماتنسفه ثقافة الغرب والشرق من أخلاق منحطة فاسدة مدمرة للدين ـــ ومعلوم عند كل من له وعي وادراك، ان الاستعمار عند ما مهد لغزو البلاد الاسلامية جعل أولى الأولويات عنده هو تحطيم الدين الاسلامي والتشكيك فيه وقد جند عملاء ومستشرقين، درسوا اللغة العربية حتى اتقنوها وحفظوا الحديث الشريف وقرءوا القرآن حتى حذقوه قال تعالى : «كذلك نسكله في قلوب المجرمين لايومنون به».

قال القرطبي : عند هذه الآية : وقيل المعنى نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به، اتخذ المستشرقون هذا السلاح لافساد ديننا ولبث سموم التشكيك بين صفوف المسلمين، ولم يكتفوا بهذا بل عملوا على كسب وتجنيد بعض الشذاذ المنحرفين أخلاقا وسلوكا من أبناء المسلمين، وأقنع هؤلاء المستشرقون أولائك المغرورين، ان الاسلام =

....

=عقبة في وجه التقدم، والازدهار، ورسخوا في عقولهم المريضة ان تطور المجتمع ومسايرة ركب الحضارة منوط بالانسلاخ من الاخلاق الاسلامية سلوكا وتفكيرا منهجا وعملا، واستغل المستشرقون اختلاف المسلمين فيما بيهم، وكانت تلك الخلافات ورقة ناجحة في ايديهم حيث ركزوا على توسيع شقة الخلاف بين الطوائف الاسلامية وأوقدوا نار الفتنة بين حكام الدولة العثمانية والشعوب العربية، وكلما سنحت لهم الفرصة ينشؤون في بعض البلاد الاسلامية خلايا من المنافقين اللابسين لرداء الاسلام في الظاهر وفي باطن الأمر مهملين لتعاليمه غير ملتزمين بأوامره، ليكونوا لهم خير معين على تحقيق اهدافهم الهدامة. وبعد هذا التمهيد ابتلي المسلمون بالاستعمار الكافر الذي كون جيلا يقتدون بسيرته، وينهجون سبيله، ويقتفون اثره، في الهيئة، والأخلاق، وبكلمة واحدة جاء هذا الجيل قطيع الغرب وعطسته(2)، ولا أطيل الحديث عن الاستعمار وسيئاته، فقد كتب عنه العلماء المعاصرون كتبا كثيرة، ويقيني الذي لايتزحزح هو ان الاستعمار لن يتوانى في حفر قنواته ببلادنا، وجعلها مملوءة من مستنقعات اخلاقه الآسنة، محاولا بذلك اغراق خلقنا النابع من ديننا الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد جمح بنا القلم ولنعد الى ماكنا بصدده من الرد على هذه الشبهة التي أثارت مناظرات كثيرة ونقاشات ساخنة بين الفرق الاسلامية ونقول وبالله التوفيق : لما خلق الله الانسان أودع فيه أشياء هو مسير في بعضها مخير في البعض الآخر.

يقول الاستاذ محمد متولي الشعراوي : في هذا الموضوع ان الأشياء التي شاء الله أن يكون مسيرا فيها ولا اختيار له فيها هي شكله مثلا طويل قصير جميل ذكي غبي ــ الصحة ــ المرض كذلك مابداخل الجسد البشري من أجزاء لا دخل للانسان فيه ــ القلب يدق ــ الجهاز الهضمي يقوم بوظيفته ــ الجهاز البولي كذلك ــ الدورة الدموية لايعرف متى تدور سواء في حالة النوم واليقظة.

---

(2) تقول العرب فلان قطيع فلان وعطسته اذا أشبهه في خلقه وخلقه. =

= أما الأشياء التي شاء الله أن يكون الانسان مخيرا فيها فهي : منطقة العقل والفكر التي يعرض فيها الفعل على العقل يفعل أولا يفعل، فتلك هي المنطقة التي يوجد فيها الاختيار الذي هو التمكن من الفعل أو الترك وهي منطقة التكليف من الله ولذلك فإن فاقد هذه لايكلف من الله لماذا لايكلف المجنون لأنه فقد أداة الاختيار بين البديلات اذا فربط التكليف بالعقل وجودا ونضوجا يدل على ان مهمة التكليف هي في الأمر الاختياري الذي يجد الانسان فيه بديلا يفعل أولا يفعل ــ ان المكره على الشيء لا يعاقب عليه وانما يعاقب على فعل عمله مختارا. انتهى كلامه مختصرا.

قلت : وفي شرح النووي على مسلم مالفظه : (قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره عل ماقدر وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الاخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه). أي علم الله سبحانه وتعالى أزلا مايكون من عبده المختار فقال سيكون من عبدى كذا وكذا فهو كتب لا ليلزم ولكنه تعالى كتب لأنه عالم بما يكون من عبده باختياره لان العلم صفة انكشاف وليس صفة تأثير كالقدرة.

ونضرب مثالا يقرب هذا الأمر ولله المثل الأعلى، لك خادم تعرف من خلقه انه عسر شكس، كثير العصيان لأوامرك، وأردت أن ترسله الى شيء يأتيك به وأنت تعلم من حاله انه لن يأتي بما ارسلته اليه، وقلت له اذهب الى المنزل واتنى بمحفظتي سأعطيك مائة أوقية فخرج الخادم وفي منتصف الطريق التقى بصديق له، فجلس معه وأهمل مامرته به ثم بعد ذلك عاد وقال لك : اعطني المائة فانا لم احضر المحفظة لأنك تعلم من حالي مسبقا اني ساعصي امرك.

هل سبق علمك بأنه لايطيع تحلله من المسؤولية؟ وهل سبق علمكن بحال اختياره لطريق المعصية تعفيه من العقوبة؟

الجواب لا طبعا، وهل يستوجب عليك مثوبة العمل لو فعل؟

الجواب : نعم

ان الله تعالى جعل لك ارادة بها تكون مختارا، وخلق فيك قدرة حادثة بها =

=تتمكن من ممارسة الفعل، وجاءك النذير ووجهت وجهة الخير لماذا تختار وجهة الشر اذن انت المسؤول عن عملك. قال تعالى : (انا هديناه السبيل اما شاكرا وإما كفورا)، ان الله تعالى بين للانسان الطريق الواضح ثم تركه ليختار الوصول الى الله أو الضلال عن الطريق المؤدية اليه سبحانه وتعالى. وقال تعالى : (وهديناه النجدين) اي بينا له طريق الخير وطريق الشر بعد أن اتاه الله قوة التمييز. والقدرة على الاختيار والترجيح ليسلك الطريق التي اراد منهما.

وأومن باليوم الآخر وبأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث[9] من في القبور.

---

9 — يجب على المسلم ان يعتقد ان الله تعالى يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم ويعيد اليهم اجسامهم اعادة محققة لاشك فيها، والجسم المعاد هو الجسم الأول بعينه لامثله ولو حرق الانسان وبدد في الهواء، لان البعث اعادة ماعدم بعد وجوده مثل ماكان، فبعض الاجسام ينعدم بالكلية ثم يعيده الله تعالى كما انشاه باجزائه الاصلية : من عظام واعصاب ولحم قال تعالى : (كما بداكم تعودون)

قال العلامة الفقيه عبد القادر بن محمد سالم الشنقيطي في نظمه الواضح المبين :

(والبعث قد ورد في الكتاب ... وفي الاحاديث بلا ارتياب)
(وهو الاعادة لعين الجسم ... لا المثل في اجماع اهل العلم)
(والخلف هل يعاد مثل ماولد ... أو مثل حال الموت عنهم قد عهد)
(وظاهر الحديث الأول كما ... ذكره القباب شمس العلماء)

واعلم انه من وقت البعث يحشر ابناء آدم منذ بدأوا حتى انتهوا ويعرض عليهم كل شيء عملوه منذ عقلوا وكلفوا الى وفاتهم كل ذلك مسجل بطريقة متقنة، قال تعالى : (وكل شيء احصيناه في امام مبين)، ثم بعد الحساب الدقيق الذي لاظلم فيه ولا حيف ينطلق كل انسان الى مصيره الابدي أما الى النعيم واما الى الجحيم.

مبحث : قلنا إن البعث هو اعادة الجسم الأول بعينه، واستشكل بعضهم وقال : لو اكل انسان انسانا وصار جزءا من اجزائه فانه يعود بغير جسده، الأول فأجاب احمد النفراوى بقوله : انما الحاصل للآكل لاجزاء غيره : النماء في جسده بسبب الأكل، =

=ولا يلزم من ذلك صيرورة اجزاء المأكول اجزاء الآكل، الاترى ان الشخص يأكل التمر والخبز ولا يصير واحد منهما جزءا له فتدبره يندفع عنك الاشكال، انتهى من شرحه على الرسالة.

فائدة : ان الله تبارك وتعالى حرم على الارض اكل اجساد الانبياء قال القرطبي في التذكرة : خرج ابو داود وابن ماجة في سننهما عن اوس بن اوس قال قال رسول الله ﷺ : ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي. قالوا : يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يقولون : بليت فقال : ان الله عز وجل حرم على الارض اجساد الانبياء.

والحق بهم بعض العلماء : الشهداء والمؤذن المحتسب والعلماء العاملين والى هذا اشار العلامة عبد القادر بن محمد سالم في الواضح المبين بقوله :

(والروح لاتفنى كما قد وردا كذا جسوم الانبياء والشهدا)
(كذا جسوم العلماء العاملين ومعهم محتسبو المؤذنين)

وأومن بأن المؤمنين في الجنة يرون[10] ربهم بلا جهة ولا مكان وبلا كيف وأنها في الدنيا لم تقع إلا لنبينا محمد ﷺ.

مبحث : (10) اجمع اهل السنة على ان المؤمنين يرون ربهم في الجنة على الوجه الذي يليق بجلاله تعالى، من نفي الكيف، والتشبيه والانحصار والجهة وغير ذلك، فالرؤية عند اهل السنة، قوة يجعلها الله في خلقه، متى شاء وكيف شاء، ينكشف بها المريء على حقيقته، ولا تستدعي مقابلة ولا جهة ولا جرمية، وعلى الرغم من ان الله تعالى ليس جسما ولاهو متحيز في جهة ما من الجهات فإنه من الممكن ان ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر، كما ورد في الأحاديث الصحيحة (انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) قال في الجوهرة :

(ومنه أن ينظر بالابصار لكن بلا كيف ولا انحصار)

وقال في الاضاءة :

(ورؤية الاله بالابصار تجوز عند أهل الاستبصار)
(دون تقابل او اتصال بل بالذي يليق بالجلال)=

= قول صاحب الجوهرة (بلا كيف) اي خلوها عن الشروط والكيفيات المعتبرة في رؤية الاجسام والأعراض، قوله (ولا انحصار) اي لاانحصار للمرئي عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى، قال العلامة الامام المختار بن بونه في الوسيلة :

(من الجائز عن ذوي النظر رؤية ربما تعالى بالبصر)
(بلا اتصال وبلا مقابله ولابما يسلتزم المماثلة)
(لانه رآه خير البشر ليلة الاسراء كما في الخبر)
(ولاحاديث بأنه يرى كقوله كما ترون القمرا)
(ووجهه ان التزاحم انتفى لا انه في جهة قد انتفى)
(وشرحه زيادة في الآية برؤية الاله وهي الغاية)
(ووصفه جل الوجوه الناضرة بكونها الى الاله ناظرة)

الحق عند اهل السنة ان الرؤية لايشترط لها عقلا عضو مخصوص ولا مقابلة ولا قرب وقد ثبت في صحيح البخاري أنه ﷺ قال : هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله مايخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري) قال ابن حجر : ثم ذلك الادراك يجوز ان يكون برؤية عينه انخرقت له العادة فيه فكان يرى بها من غير مقابلة.. وذكر ابن حجر ايضا ان صورهم كانت تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة فيرى امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وما ذكره ابن حجر في شأن رؤيته ﷺ لمن وراءا ظهره لا ينكره الا مكابر طبع الله على قلبه بل نحن نشاهد في هذا العصر ماهو أغرب وذلك مما حدث من مستجدات هذا القرن من اشياء خارقة للعادة تتجلى في الاختراعات العلمية الحديثة، فنحن نشاهد اليوم الاجهزة الفاحصة التي تكشف أشياء لايمكن للعين البشرية المجردة ان تطلع عليها واجهزة اخرى، يتمكن الشخص من خلالها من رؤية مابداخل الانسان من الاعضاء الدقيقة والامعاء الرقيقة، لايحجبها جسم ولاغيره ونشاهد كذلك شاشات التلفاز الجالبة للصور من الأقطار البعيدة، الى غير ذلك من الأمور التي كانت قبل فترة من الزمن تعتبر ضربا من الخيال وسخفا من القول، وعلى المسلم ان يعتبر كل هذه الاختراعات الحادثة ادلة مادية تقوي فيه=

....

=الايمان بربه وتشده الى عبادة خالقه. ويتيقن العبد الضعيف ان قدرة الله فوق مايتصور. ولقد اجاد عمنا العلامة العارف الحجة الشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين في وصفه لبعض الاختراعات الحديثة حيث قال من قصيدته الرائعة :

(هل غادر المذياع من عجب فقد ... اغناك عن كلف البريد الـواني)
(ياتـيك بالاخبــار ساعتها فلــم ... تحتــج لضـرب الارض والجولان)
(فاذا صغيت فكل شخص حاضر ... واذا نطقت حللت كل مكـان)
(وانظـر لصنــع الكهربـاء فانــه ... من لطف صنع الله في الاكوان)
(اذ سهلت كل الصعاب واوهمت ... ان المحال تحيـــز الامكـــــان)
(هذا ولا تغفل عن التوحيد فالا ... شيـاء حسب مشيئـة الـرحمان)
(امـا اخـو الايمان ان يـر آيــة ... تــزدد لديـــه قـــوة الايمان)
(اما الذي في قلبه مرض فقـد ... يــزداد خسرانـــا الى خسران)
(هذب فـؤادك واشتغـل بصلاحـه ... لتــزول عنــه شوائب الادران)
(يتلــون المرئي لــون زجاجـــه ... والشيء لـيس بتـلك الالـــوان)
(ومتى صفا بالذوق قلبك تنطبع ... في دفتيــه حقائـــق الاكـــوان)
(فمظاهر الاسماء ما ان تـنـقضي ... اذ كل يــوم امــره في شان)

محل الشاهد في الابيات قوله اما اخو الايمان) يعني أن هذه المخترعات ينبغي أن تزيد في المسلم الايمان

مبحث : رؤية الله في الدنيا لم تقع الا للنبي ﷺ وأما من ادعاها من آحاد الناس في الدنيا يقظة فهو ضال باطباق المشايخ وفي كفره قولان كما نص عليه النفراوي في الفواكه الدواني.

قال العلامة عبد القادر بن محمد سالم في نظمه الواضح المبين :

(ومن من النـاس ادعاها الآنــا ... فالخلـف في تكـفيره قـد بانـا)
(والمتأخـــرون منـــا اكفـــروا ... بها ومنهم الجزولي يذكـــــــر)=

= اما رؤيته تعالى مناما فقد نقل عن القاضي عياض انه لانزاع في وقوعها وصحتها، فإن الشيطان لايتمثل به تعالى، وكذلك رؤية النبي ﷺ مناما فان الشيطان لايتمثل به كما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه : (من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقوله ﷺ (من رآني) يتناول كل من رآه من اصحابه ﷺ أو غيرهم من جميع المسلمين سواء في أي عصر كانوا، خلافا لمازعمه بعض المعاصرين من ان هذه الرؤية خاصة بالصحابة.

والدليل على أن الحديث يشمل كل من رآه في المنام، سواء كان من الصحابة أو غيرهم مايعطيه مدلول (من) لان (من) من الفاظ العموم كما هو مقرر عند الاصوليين في مبحث العام، قال عبد الرحمان السعدي : في القواعد الفقهية :

(كذلك من وما تفيدان معا كل لعموم ياأخي فاسمعا)

ولو كان الحديث خاصا بزمن الصحابة لخصص هذا العموم بقوله منكم أو نحوها.

والحق ماذهب إليه المحققون من ان هذه الرؤية لاتختص بزمن الصحابة ولا بزمن آخر كما يفهم من سياق الحديث فهو عام يتناول كل من رآه من آحاد الناس في زمنه ﷺ أو بعده

مبحث : رؤيته ﷺ في المنام لايثبت بها حكم شرعي قال ابن حجر في فتح الباري : فقد صرح الايمة بأن الاحكام الشرعية لاتثبت بذلك قال العلامة الشعراني في كتابه تنبيه المغترين — ص — 10 لا ينبغي لمن امره النبي ﷺ بشيء في النوم ان يأمر به الناس لأنه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل ومن أمر الناس بشيء زائد على ماثبت من طريق النقل فقد كلف الناس شططا وفي زاد المسلم مالفظه : لاننكر ان الولي يتقوى هو في نفسه بأخباره ﷺ بالشيء النافع له ويكمل نشاطه للعمل به ويتبين له انه صادق في محبة رسول الله ﷺ ومحبة اتباع شرعه، واما اثبات الاحكام بغير طريق النقل الثابت شرعا فلا قائل به ممن يعتد به من حملة الشريعة المطهرة البيضاء.. هذا ماعليه محققوا علماء السنة المطهرة من الصدر=

=الأول الى زماننا هذا وبه تعلم انه لايعتمد بما يذكر بعض الصالحين أنه تلقاه من رسول الله ﷺ اللهم إلا ان كان ذلك في خاصة نفسه واما تعليمه للناس وأمرهم به فلا يجوز. انتهى منه / ص / 189 / ج / 3.

وأومن بأن الجنة(11) والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لاتفنيان أبدا وأن الجنة وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه وأنه محسوس مادي، وأن النار(12)وما أعد الله تعالى فيها لاعدائه من العذاب حق وأنه محسوس لامعنوي كما يزعم أهل الضلال.

---

(11) الجنة اصطلاحا هي : دار الثواب والخلود اعدها الله تعالى لنعيم أوليائه المؤمنين من الانس والجن ولهم فيها مالا يوصف ولا يخطر بالبال من انواع الملذات والمسرات وكل وسائل السعادة قال تعالى : (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) وهي موجودة فمن انكر وجودها الآن فقد كذب القرآن والاحاديث الصحيحة وباء بالكفر اعاذنا الله من الخذلان، فمن الآيات الصريحة في وجود الجنة الآن قوله تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض اعدت لمتقين) آل عمران، وقوله تعالى : (واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) التوبة، ومن الأحاديث الصحيحة قوله ﷺ : عرضت علي الجنة فتناولت منها عنقودا) وفي صحيح البخاري (إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع) الحديث، وفي صحيح مسلم : لما خلق الله تعالى الجنة والنار ارسل جبريل الى الجنة فقال : اذهب فانظر اليها وإلى ماعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ماعد الله لاهلها فرجع فقال وعزتك لايسمح بها احد الا دخلها فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر اليها والى ماددت لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لايدخلها احد قال ثم ارسله الى النار قال اذهب فانظر اليها والى ماعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها فاذا هي يركب =

=بعضها بعضا ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لايدخلها احد يسمع بها فامر بها فحفت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر الى ماعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لاينجو منها احد الا دخلها.

مبحث : اعلم ان بعض الفرق الضالة تزعم ان نعيم الجنة معنوي غير محسوس ينال الروح فقط دون الجسد وهذا الزعم مردود بنص القرآن، فالقرآن ينص بصريح العبارة ان نعيم الجنة مادي ملموس ونفسي محسوس قال تعالى : (ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بماكنتم تعملون) المرسلات. وقال تعالى : (وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لالغو فيها ولا تاثيم) الطور. وقال تعالى : (ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين) الدخان. وقال تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب) الزخرف. وقال تعالى : (واصحاب اليمين ماصحاب اليمين في سدر مخضوض وطلح منضوض وظل ممدود وماء سكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة. وقال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئن فيها على الارائك) الكهف. والواجب عند اهل السنة ان تحمل هذه النصوص على ظاهرها من غير تأويل، قال ابن ناجي التوخي : اتفق سلف الامة ومن تبعهم من الخلف على اجراء هذه الآي على ظاهرها من غير تأويل لها واجمعوا على أن تأويلها من غير ضرورة الحاد في الدين انتهى من شرح ابن ناجي على الرسالة ومعلوم عند الاصوليين انه لايجوز ان يكون في القرآن لفظ يراد به غير المعنى الظاهر للعقول الا بدليل يصرفه عن ظاهره ويبين المراد منه قال في مراقي السعود :

(ومابـــه يعنـــى بـــلا دليـــل غير الـــذي ظهـــر للعقـــول)

بخلاف ماصرفه الدليل عما يظهر لعقل فهو واجب كقوله تعالى : بل يداه مبسوطتان) يظهر منه للعقل الجارحة والجارحة مستحيلة على الله تعالى فيجب صرفه عن ظاهره المتبادر منه للعقل. =

= (12) النار اصطلاحا هي دار العذاب اعدها الله تعالى للاشقياء والكفار والمنافقين وكل من كذب بآيات الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ولمن اراد الله عقابه من عصاة المؤمنين، لهم فيها ما لا يطاق ولا يوصف من انواع العذاب المادي المحسوس الذي تنغمس فيه حواس الكافرين وجسومهم ومشاعرهم، وهي موجودة الآن فمن انكر وجودها في الحال، فقد كذب القرآن وكفر بما جاء به محمد ﷺ، والحجة على انها موجودة الآن

قوله تعالى : (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وقال تعالى : (انا اعتدنا لظالمين نارا احاط بهم سرادقها) وعذابها محسوس مادي فان الله تعالى يذيق الروح والجسد معا انكى العقاب وامر النكال قال تعالى : (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) وقال تعالى : (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) وقال تعالى : (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه(3) الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) وقال تعالى : (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش)(4) وقال تعالى : (سرابيلهم من قطران).

وقال : الجهمية بفناء النار وفناء اهلها، وهذا القول كفر لمخالفته، لنص القرآن والحديث الصحيح والاجماع. =

(3) العتل ان تأخذ بتلابيب الرجل فتعتله أي : تجره بعنف لتذهب به الى حبس أو بلية.
(4) الغواشي جمع غاشية وهي غطاء كالحاف.

= مبحث : مما يؤخذ على العالم الكبير تقي الدين ابن تيمية قوله بفناء النار وقد اثار رأيه هذا ردود العلماء عليه، فقد رد عليه معاصره العلامة تقي الدين السبكي، بكتاب سماه الاعتبار ببقاء الجنة والنار، وقد رد عليه العلامة الأمير الصنعاني صاحب كتاب سبل السلام، بكتابه : رفع الاستار لابطال ادلة القائلين بفناء النار، ورأيت ردا رائعا للعلامة محمد لأمين الشنقيطي، على القائلين بفناء النار نسوقه تتميما للفائدة فقد ذكر في كتابه دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مالفظه :

اما فناؤها فقد نص تعالى على عدمه بقوله : (كلما خبت زدناهم سعيرا) فمن يقول ان للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير رد عليه بهذه الآية الكريمة ومعلوم ان (كلما) تقتضي التكرار بكرر الفعل الذي بعدها ونظيرها قوله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) وأما موتهم فقد نص تعالى على عدمه بقوله : (لايقضى عليهم فيموتوا) وقوله : (لايموت فيها ولايحيى) وقد بين ﷺ في الحديث الصحيح ان الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح، واذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لاموت كما قال ﷺ : (ويقال ياأهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) واما اخراجهم منها فنص تعالى على عدمه بقوله : (وما هم بخارجين من النار) وبقوله : (كلما أرادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) وبقوله : (وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) واما تخفيف العذاب عنهم فنص تعالى على عدمه بقوله : (ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور) وقوله : (ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) ولا يخفى ان قوله : (لا يخفف عنهم من عذابها وقوله لايفتر عنهم) كلاهما فعل في سياق النفي فحرف النفي ينفي المصدر الكامن في الفعل فهو في معنى لاتخفيف للعذاب عنهم ولا تفتير له والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان في هذه الآيات، بل يلزمه ذهابهما رأسا فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به في قوله : (كلما خبت زدناهم سعيرا)، انظر بقية كلامه في كتابه الآنف الذكر، فقد أجاد وأفاد. رحمة الله عليه

ولا ندري هل رجع ابن تيمية عن قوله بفناء النار ام لا ولعله رجع ولم نطلع على رجوعه ولا يسعنا الا أن نلتمسه له أحسن الخارج =

= **مبحث** : ينبغي للمؤمن ان يعبد الله ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه رغبة في ثوابه، وخوفا من عقابه، وان يعبده حبا وخوفا ورجاء ويجعل الجنة وما أعد الله فيها من النعيم، منتجع خواطره ومهوى فؤاده، ومطمح بصره، وان يكون من عذاب النار مروع القلب، منخلع اللب، تطير منه نفسه شعاعا وتذهب لماعا.

ومما يقلق البال ويحزنه ويخشى على قائله من الكفر ما نسمعه احيانا عند بعض الناس من انه يعبد الله حبا فقط لاخوفا من ناره ولا طمعا في جنته وهذا مخالف للقرآن، ولم يقله احد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بل كان رسول الله ﷺ اشد الناس خوفا من ربه تعالى واعظمهم له مهابة واجلالا وكذلك كان اصحابه الاطهار. فهذا عمر بن الخطاب الذي بشره النبي ﷺ بالجنة يقول ليت أم عمر لم تلد عمر وقال لا آمن مكر الله. واعلم ان الخوف من النار والرغبة في الجنة هو عمل الانبياء عليهم السلام ومطلب الأولياء والعباد، قال تعالى (قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وقال تعالى : (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وقال تعالى : (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها سآت مستقرا ومقاما) وقال تعالى : (واياي فارهبوني) وقال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى : (وخافوني ان كنتم مؤمنين) وقال تعالى : (وهم من خشية ربهم مشفقون) وقال تعالى : (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقال تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء)، ولقد اعطى الله الاجر للمؤمنين، قال تعالى : عن نبيه ابراهيم (وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) وقال تعالى عن الشهداء (والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم) وقال عن عباده المؤمنين (تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما)، فهل؟ ياترى يوجد احد فوق رتبة الانبياء والشهداء والمؤنين، ويرفض الاجر ويقول انما اعبد حبا لله ولا أريد الاجر. قال العلامة الألوسي : (من قال لست اعبد الله تعالى رجاء جنته ولا خوفا من ناره. من قاله اظهارا للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطىء كافر. ومن قاله لاعتقاد ان الله عز وجل اهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان=

= اهلا لان يعبد فهو محقق عارف كما لايخفى) قال العلامة ابن القيم الجوزية : (قال بعض السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن وقد جمع تعالى هذه المقامات الثلاث بقوله : (اولائك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) انتهى من بدائع الفوائد ج / 3 / ص / 11

مبحث : اعلم انه ينبغي للمؤمن ان يعلم انه اذا أكثر من عمل الطاعات وعبد الله خوفا من ناره ورغبة في جنته، ان ذلك لايدخله الجنة الا ان يتفضل الله عليه برحمته كما ثبت في الحديث الصحيح، ففي الصحيحين : عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : (لن يدخل احدا عمله الجنة قالوا : ولا أنت يارسول الله، قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته، فسددوا، وقاربوا، ولايتمنين احدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا، واما مسيئا فلعله ان يستعتب.

قال الحافظ العلامة محمد حبيب الله ابن مايابا في شرحه فتح المنعم على زاد المسلم : (وظاهر هذا الحديث ان الاعمال الصالحة لاتدخل احدا الجنة واستشكل ذلك بقوله تعالى : (وتلك الجنة التي اورثتموها بماكنتم تعملون) واجيب : بأن محمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال لان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال، وان محمل الحديث على اصل دخول الجنة. /ص/ 83 / ج / 2 /

قال ابن رجب الحنبلي في كتابه المحجة في سير الدلجة : (ان عمل الانسان لاينجيه من النار ولا يدخله الجنة، وان ذلك كله انما يحصل بمغفرة الله ورحمته.. واما قوله تعالى : (وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى : (كلوا وشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية) فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين : احدهما : ان دخول الجنة برحمته ولكن اقتسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة : كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل بالاعمال.

والثاني : ان الباء المثبتة، في قوله تعالى : (بما كنتم تعملون) وقوله تعالى : (بما اسلفتم في الايام الخالية) باء السببية، وقد جعل الله العمل سببا لدخول الجنة، والباء =

=المنفية في قوله ﷺ (لن يدخل احد الجنة بعمله) باء المقابلة والمعاوضة، والتقدير لن يستحق احد دخول الجنة بعمل يعمله، فأزال بذلك توهم من توهم ان الجنة ثمن الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها تسليم سلعته، فنفى بذلك هذا التوهم، وبين ان العمل وان كان سببا لدخول الجنة انما هو من فضل الله ورحمته.

قلت : وما ذكره محمد حبيب الله، وابن رجب الحنبلي، ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري الجزء الحادي عشر ــ ص ــ 295/ وعزاء لابن بطال وقال : قال : ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : (وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون) ماحصله ان تحمل الآية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وان يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها، ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى : (سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فصرح بأن دخول الجنة ايضا بالاعمال، وأجاب بانه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك اصل الدخول، ثم قال : ويجوز ان يكون الحديث مفسرا للآية، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا اصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين مانالوا به ذلك، قال ابن حجر : ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب آخر وهو ان يحمل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لايستفيد به العامل دخول الجنة مالم يكن مقبولا، واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى، وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا فمعنى قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر بعد هذا ان تكون الباء للمصاحبة او للالصاق أو المقابلة، ولا يلزم من ذلك ان كون سببية، ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الاعمال، والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله وفضله، فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الحديث، ويصح أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى. =

= وفي زاد المسلم مانصه : المراد بالنفي في هذا الحديث هو أن الأعمال الصالحة، لا توجب على الله ادخاله لاصحابها في الجنة، الا بمحض رحمته تعالى وفضله، اذ لايجب عليه شيء تعالى عن ذلك علوا كبيرا لكنه تعالى، بمحض فضله، وعد أهل الأعمال الصالحة من اهل الطاعات، بادخالهم الجنة، في آيات كثيرة منها قوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم)، ووعده تعالى، منجز، واخباره تعالى، صدق قال تعالى : (ان وعد الله حق) وقال تعالى : (ومن اصدق من الله قيلا) الى غير ذلك من الآيات، فيرجع معنى الحديث إلى أنه تعالى لاتوجب الاعمال الصالحة عليه ادخال اهلها الجنة بل يدخلهم بمحض فضله ورحمته وفاء بوعده تعالى. ج / 2 / ص / 83

ولقد اجاد جدنا الشيخ ماء العينين حيث قال :

(بفضلك اللهم لابعملي أريدُ مغفرة كل زللى)
(وانني بالفضل لا بالعمل أريد أعلى ما يناله ولى)

وأومن بأن الصراط (13) حق وهو جسر ممدود على متن جهنم، فيجتاز عليه الناس فمنهم من يترنح من فوقه ثم يهوي في النار ومنهم من يمر من فوقه الى ماأعده الله من النعيم المقيم.

[redacted] (13) ــ واعلم أنه وردت في الصراط أحاديث صحاح تصفه بانه أرق من الشعرة واحد من السيف، وانكر اكثر اهل الاعتزال كالقاضي عبد الجبار وغيره كون الصراط جسرا ممدودا على ظهر جهنم وقالوا : ان الصراط بهذا المعنى لايمكن العبور عليه ولو امكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة لذا قالوا : المراد به طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى : (سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى : (فاهدودهم الى صراط الجحيم)

وقال القرافي من أهل السنة : ان الصراط عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى، فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وقد انتقد بعض اهل السنة ماقاله القرافي عن الصراط وقالوا : الصواب ابقاء النص الصريح في ان الصراط ادق من الشعرة واحد من السيف، على ظاهره مادام لم يخالف قاطعا، ورأيت في كتاب النشر الطيب على توحيد ابن عاشر للوزاني ان القرافي لم ينفرد بهذا القول بل قال به جماعة من المحققين كعز الدين، والزركشي والبيهقي، وارتضاه علي الاجهري، وللمزيد انظر الجزء الثاني من النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب / ص / 381 /. =

= وفي كتاب الرائد في علم العقائد : ان تأويل القرافي وغيره مخالف للصواب فالله تعالى الذي انشأ الخلق من العدم لايعجزه امشاؤهم على الصراط الارق من الشعرة والأحد من السيف بل هو قادر على امشائهم لا على شيء. انتهى منه / ص / 229.

قال في الاضاءة :

(ومـــا يقـــال انـــــه ارق من شعر صدقه فهـو حـق)
(وفي صحيـح مسلـم مـاارشدا اليـه والضريـر فيـه انشدا)
(والـرب لايعجـزه امشاؤهـم عليـه اذ لم يعيـه انشاؤهـم)
(تبـا لقـوم الحدوا في امـره ما قدروا الالـه حـق قـدره)
(وللقـرافي هنـا كـلام من اجلـه نيـط به الملامُ)

وفي كتاب الرائد في علم العقائد : ان المعتمد الذي يجب اعتقاده، ماعليه اهل السنة من أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه جميع الخلق لظاهر النصوص التي تدل على ذلك، ومعلوم ان النصوص لا تصرف عن ظاهرها لتحمل على غيره إلا لدليل قاطع، ومادام لم يثبت اي دليل يقضي بصرفها عن ظاهرها، فما ادعاه المعتزلة من ان المراد بالصراط من تلك النصوص غير الظاهر منها، يكون باطلا، اما مازعموه من أن الصراط اذا حمل على ظاهره لايمكن العبور عليه، ولو امكن ففيه تعذيب للمؤمنين فقد رد من طرف اهل السنة بأن ذلك ليس بابعد من المشي على الماء والطيران في الهواء، ورفع السماء بغير عمد، فمن امسك السماوات والأرض ان تزولا قادر على أن يسير العباد معتمدين على شيء وعلى غير شيء فلا معنى لتلجلج الشك في ثبوته أو التعرض لتأويله على خلاف ظاهره وعلى تقدير تسليم كونه تعذيبا للمؤمنين يجوز أن يكون لتطهيرهم من الذنوب.

وأومن بالملائكة وهم عباد مكرمون شأنهم الطاعة والعبادة يسبحون الليل ولنهار لايفترون لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرن لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم رسل الله الى خلقه وهم مخلوقون من نور غير مرئي بالعين ومع ذلك فإن الله عز وجل قد منحهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة والظهور بمظاهر الأجسام الكثيفة وأومن بالكتب المنزلة من عند الله، وأشهد أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق، وأنه محفوظ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه ناسخ للكتب المتقدمة ومهيمن عليها.

وأومن بأن الله بعث الانبياء إلى خلقه مبشرين ومنذرين، أولهم آدم وآخرهم نبينا محمد ﷺ، وقد حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بأي منهي عنه ويجب في حقهم الصدق والامانة والنبليغ، ويستحيل في حقهم الكذب والخيانة والكتمان.

وأومن بأن الحساب حق وهو اطلاع الله عباده يوم القيامة على كل ماقد كسبوه في الدنيا من تصرفات اعتقادية أو فعلية أو قولية، خيرا كانت أو شرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

وأومن بالميزان وهو حق لقوله تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» ونمسك عن تعيين نوع هذا الميزان وكيفيته ونؤمن بما اخبر به الله عنه.

وأومن بأن الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح بما أمر الله أن يعمل به، وانزجار عما نهى عنه من عقد قلب، وقول لسان وعمل جوارح وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وأومن أنه لابد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف من أصناف العصاة(14) كالزناة وشاربي الخمر وقتلة الانفس. =

= (١) ـ اعلم بأن المراد بنفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف اقلها واحد قال في الجوهرة :

(وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة ثم الخلود مجتنب)

وقال في الواضح المبين :

(وكل نوع من عصاة المؤمنين فبعضه لابد منه أن يكون)
(فيه الوعيد مثل ذي السفاح والقذف والقتل وشرب الراح)

قال في تحفة المريد على جوهرة التوحيد : الناس قسمان مؤمن وكافر فالكافر مخلد إجماعا في النار، والمؤمن قسمان : طائع وعاص، فالطائع، اجماعا في الجنة والعاصي على قسمين : تائب وغير تائب. فالتائب اجماعا في الجنة، وغير التائب متروك للمشيئه، وعلى تقدير عذابه لايخلد في النار، قال العلامة الامام المختار ابن بونه في الوسيلة :

(من مات لم يتب من الكبائر فلمشيئة الإلـه صائر)

قال العالم الفقيه عبد القادر بن محمد سالم في شرحه على الوسيلة عند هذا البيت مانصه : يعنى أن من مات مؤمنا مصرا على الكبائر ولم يتب منها فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء ادخله الجنة ابتداء، وان شاءا عذبه بالنار، ثم اخرجه منها بايمانه فادخله جنته.

مبحث : يجب على المؤمن العاصي ان يبادر بالتوبة والاستغفار، لأنه لايدري متى يدركه الأجل، واعلم : بأن الله سبحانه وتعالى عند ماشرع التوبة فتح بذلك مجالا لرجوع العبد الذي انحرف وضل عن الطريق المستقيم، وجعل له العذر في الضعف الذي قد يصيب المسلم، فيعصي ولاشك في أن المعصية لاتصدر إلا من نفس قد خبا فيها نور الايمان ثم أن في تشريع التوبة، صيانة لحركة الهداية في هذه الأرض وهي فضل من الله ورحمة، قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) قال في روح البيان : وفي هذه الآية دليل على أن الذنب لايخرج العبد من الايمان لأنه قال أيها المؤمنون بعد ما أمر بالتوبة التي تتعلق بالذنب). =

= وقال تعالى : (استغفروا ربكم ثم توبوا إلى الله توبة نصوحا)، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (والله اني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم اكثر من سبعين مرة) وفي صحيح مسلم قال ﷺ : (يا أيها الناس توبوا الى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) قال ابن علان عند حديث البخاري المتقدم مانصه : (انما لم يحده بعدد مخصوص لما علمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين به لاينحصر ولأنهما يتكرران بحسب الشهود والترقي، ثم في هذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار فإنه ﷺ مع كونه معصوما وكونه خير الخلائق يستغفر ويتوب سبعين مرة واستغفاره ﷺ ليس من الذنب بل من اعتقاده ان نفسه قاصرة في العبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والاكرام. انتهى من الفتوحات الربانية.

والتوبة تعتبر بمثابة غاسول مطهر من الذنوب، ولها ثلاثة شروط :

الأول : الاقلاع عن المعصية التي كان متلبسا بها اذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

الثاني : الندم على فعلها من حيث انها معصية

الثالث : تصميم العزم ان لايعود الى مثلها ابدا.

قال جدنا الشيخ ماء العينين في نظمه منتخب التصوف في باب التوبة :

(واستعمل الندم مما سلفا من الذنوب ظاهرا وماخفا)
(واعزم على الترك فمن لم يتركا كغاسل ملطخ قد سلكا)

قال في شرحه مبصر المتشوف مانصه : اعنى ان من لم يترك الذنوب وهو يقول انه تائب أنه بمنزلة الغاسل للثوب الملطخ له بالنجاسة لأن التوبة بمنزلة الماء المطلق والمعاصي بمنزلة النجاسة فإن كان الشخص كلما تاب رجع إلى الذنوب صار كالذي يغسل الثوب من النجاسة ثم يلطخه منها، والف (يتركا) منقلبة عن نون التوكيد والف (سلكا) للقافية.

واعلم ان التوبة هي أوّل المقامات اذ لايصح مقام إلا بعد تصحيح مقام التوبة =

= وقد أمر الله تعالى عباده بالتوبة في أكثر من آية، قال الشيخ ماء العينين رحمه الله في منتخب التصوف :

(وامــــر الالــــه بالتوبـــــة في نص الكتاب والحديث المصطفـى)
(لذاك تب من الذنـوب واطلبـا توبـــة ربك علـــيك وتبـــا)

قال في شرحه مبصر المتشوف : اعنى انه لاجل ان الله امر بالتوبة في القرآن والحديث فإني آمرك بها وقائل لك تب من الذنوب أي ارجع عنها واطلب من الله تبارك وتعالى أن يتوب عليك لأنك لاتتوب الا اذا تاب الله عليك لقوله تعالى : (ثم تاب عليهم ليتوبوا)، قولي : آخر البيت (وتبا) توكيد لفظي لقوله أول البيت تب والألف فيه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة وكذلك في قوله واطلبا، ومعنى طلب التوبة ان تقول : اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي انك انت التواب الرحيم. انتهى منه

مبحث : قال بعض العلماء لايمكن للعاصي ان يدخل الجنة الا بعد التمحيص والتمحيص يكون بالتوبة النصوح في دار الدنيا، والاستغفار وأشياء أخرى عدها ابن القيم الجوزية : اربعة أشياء تمحص العاصي في الدنيا، وثلاثة اشياء في البرزخ، وأربعة أشياء في الموقف، واليك ماذكره ابن القيم في كتابه مدارج السالكين : (فينظر الى ما سلف منه من الاساءة ويعلم انه على خطر عظيم فيها وأنه مشرف على الهلاك بمواخذة صاحب الحق بموجب حقه، وقد ذم الله تعالى في كتابه من نسي ما تقدم يداه، فقال : (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ماقدمت يداه) فاذا طالع جنايته شمر لاستدراك الفارط بالعلم والعمل، وتخلص من رق الجناية بالاستغفار والندم، وطلب التمحيص وهو تخليص ايمانه وتصفيته من خبث الجناية، كتمحيص الذهب والفضة، وهو تخليصهما من خبثهما. ولا يمكن دخوله الجنة إلا بعد هذا التمحيص فإنها طيبة لايدخلها إلا طيب. ولهذا تقول لهم الملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)، وقال تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام عليكم ادخلوا الجنة) فليس في الجنة ذرة خبث.

وهذا التمحيص يكون في دار الدنيا بأربعة اشياء : بالتوبة، والاستغفار، وعمل =

=الحسنات الماحية. والمصائب المكفرة فإن محصته هذه الأربعة وخلصته : كان من الذين تتوفاهم الملائكة طيبين. يبشرونهم بالجنة وكان من (الذين تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان لاتخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم).

وان لم تف هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه. فلم تكن التوبة نصوحا — وهي العامة الشاملة الصادقة — ولم يكن الاستغفار كاملا تاما — وهو المصحوب بمفارقة الذنب، والندم عليه — وهذا هو الاستغفار النافع، لا استغفار من في يده قدح السكر، وهو يقول : استغفر الله، ثم يرفعه الى فيه. ولم تكن الحسنات في كميتها وكيفيتها وافية بالتكفير، ولا المصائب. وهذا اما لعظم الجناية، واما لضعف المحص، وأما لهما — محص في البرزخ بثلاثة أشياء. أحدها : صلاة أهل الايمان الجنازة عليه، واستغفارهم له، وشفاعتهم فيه.

الثاني : تمحيصه بفتنة القبر، وروعة الفتان، والعصرة والانتهار، وتوابع ذلك.

الثالث : مايهدي اخوانه المسلمون إليه من هدايا الاعمال، من الصدقة عنه، والحج، والصيام عنه، وقراءة القرآن عنه، والصلاة. وجعل ثواب ذلك له. وقد اجمع الناس على وصول الصدقة والدعاء. قال الامام أحمد : لايختلفون في ذلك. وما عداهما فيه اختلاف. والاكثرون يقولون بوصول الحج وأبو حنفية يقول : انما يصل إليه ثواب الانفاق. وأحمد ومن وافقه مذهبهم في ذلك أوسع المذاهب. يقولون : يصل إليه ثواب جميع القرب بدنيها وماليها. والجامع للأمرين. واحتجوا بأن النبي ﷺ قال لمن سأله (يارسول الله، هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد مماتهما؟ قال : نعم فذكر الحديث) وقد قال ﷺ (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)

فان لم تف هذه بالتمحيص. محص بين يدي ربه في الموقف بأربعة اشياء : أهوال القيامة. وشدة الموقف. وشفاعة الشفعاء، وعفو الله عز وجل.

فان لم تف هذه الثلاثة بتمحيصه فلابد له من دخول الكير، رحمة في حقه ليتخلص ويتمحص. ويتطهر في النار. فتكون النار طهرة له وتمحيصا لخبثه. ويكون=

....

= مكثه فيها على حسب كثرة الخبث وقلته، وشدته وضعفه وتراكمه. فاذا خرج خبثه وصفي ذهبه. وصار خالصا طيبا، أخرج من النار، وأدخل الجنة) انتهى من مدارج السالكين / ج / 1 / ص / 161

وأومن بأن الناس يسئلون[15] في قبورهم امتحانا واختبارا، فإن كان سعيدا يوفقه الله الجواب الصحيح للملكين، فيفتح له باب إلى الجنة، وإن كان شقيا يخذله ويذهله عن الجواب الصحيح، فيفتح له باب الى النار.

---

(15) ــ قال العالم المحقق محمد سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات : اذا مات الانسان ارسل الله اليه ملكين بشكل مفزع مخيف، فسالاه عن الدين الذي عاش عليه وعن علمه بهذا الرجل الذي سمع عنه وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فمن كان قد ثبته الله عز وجل بالقول الثابت ومات على الحق وختم له بالحسنى، الهمه الله الجواب على سؤال الملكين دون ان يعروه شيء من مظهرهما المخيف، ومن لم يكن معتصما بحبل الايمان في حياته الدنيا ومات على ماعاش عليه من لهو وعصيان وادبار عن الحق، ملأ الله قلبه فزعا منهما، فغاب عن فكره الجواب المطلوب ولم يحر جوابا على مايقولان.

مبحث : اجمع العلماء على وجوب الايمان بسؤال القبر وعذابه ونعيمه وقد دلت الاحاديث الصحيحة الكثيرة على ذلك ففي الصحيحين : عن انس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : (ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان : ماكنت تقول في هذا الرجل، لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن، فيقول : اشهد انه عبد الله ورسوله، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا).

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم رجع الى حديث انس، قال : (وأما المنافق والكافر، فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري، كنت أقول مايقول الناس، فيقال له : لادريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين). =

= وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر، ولما يلحد بعد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وبيده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا. ثم قال : إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الاخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه. كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الطيبة أخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كالطيب نفحة مسك، وجدت على وجده الأرض، قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملإ من الملائكة الا قالوا ماهذا الروح الطيبة؟ فيقولان : فلان ابن فلان باحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الأرض في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك؟ فيقول : ربي الله، فيقولان : مادينك؟ فيقول : ديني الاسلام، فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم؛ فيقول : هو رسول الله فيقولان مايدريك؟ فيقول : : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته فينادي مناد من السماء : ان قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة. وافتحوا له بابا الى الجنة. قال : فياتيه من روحها وطيبها، ويفتح له في قبره مد بصره. قال : ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول : ابشر بالذي يسرك. هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول : من أنت فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير؟ فيقول : انا عملك الصالح فيقول : ربك اقم الساعة، رب اقم الساعة، حتى ارجع الى أهلي ومالي. وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه =

فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة الا قالوا : ماهذه الريح الخبيثة؟ فيقولون : فلان ابن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ : (لاتفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى، ثم تطرح روحه طرحا، ثم قرأ : (ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري. قال : فيقولان له : مادينك؟ فيقول : هاه هاه لا ادري. قال : فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لاأدري، فينادي مناد من السماء : ان كذب افرشوه من النار، فياتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح فيقول : ابشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر؟ فيقول : انا عملك الخبيث، فيقول : رب لا تقم الساعة.

رواه ابو داود واحمد.

وانما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب والافكل ميت أراد الله تعذيبه عذب قبر أو لم يقبر.

وفي كبرى اليقينيات ما لفظه : (ثم إن اسناد السؤال الى القبر جار على وجه التغليب اذ غالب من يموتون يدفنون في القبور فيكون سؤال الملكين بالنسبة إليهم في القبر بعد ان يتولى عنهم اصحابهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام فاسند السؤال الى القبر تغليبا والا فلا جرم انه شيء ثابت بالنسبة لكل من مات سواء دفن في القبر ام غرق في البحر ام اكلته السباع ام التهمتة النيران.

= فان قلت ولكن كيف يتم السؤال والجواب رغم موته في هذه الاحوال كلها؟ والجواب ان الامر داخل في حيز الممكنات، وليس من قبيل المستحيلات. غاية الأمر أن من الممكنات أمورا لم نشاهدها ولم نتعود على تصورها وهضم كيفيتها ومنها ماذللته المشاهدة والرؤية المستمرة، فيتخيل الانسان لأول وهلة ان الاول مستحيل والثاني وحده الممكن. فليس عسيرا على الله جل جلاله ان يعكس الحياة مرة اخرى على ذوات الجسم سواء كانت مجتمعة في قبر، أم موزعة في فلاة ام متفرقة في بطن سبع. فيعي بذلك السؤال والجواب. ويرى الملك الذي يسأله ويكلمه. وليس ثمة مطمع في ان تعلم كيفية ذلك تحليلا. اذ ان حقائق مابعد الموت متعلقة بنظام آخر مختلف عن نظام هذا العالم المرئي للأحياء.

مبحث : رفض بعض المنتسبين لطوائف اسلامية الاحتجاج بحديث الاحاد الصحيحه في موضوع العقائد وقالوا : انها لاتفيد اليقين، وقالوا : ان العقيدة لا تثبت الا بالقرآن والمتواتر من الأحاديث الصحيحة، وينسب هذا القول الى فرق من المعتزلة وبه قال من المتأخرين محمود شلتوت حيث ذكر في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة مانصه : (وهكذا نصوص العلماء متكلمين واصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة).

وما ذكره شلتوت لا يوافقه عليه المحققون من علماء السلف والخلف حيث ذكروا ان كل ماأخبرنا الله أو اخبرنا به رسوله ﷺ ووصل الينا بطريق صحيح يجب الايمان به وتصديقه، وهم لايفرقون بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد اذا كان صحيحا بل يثبتون العقائد بهما من غير تفريق. انظر لوامع الأنوار البهية.

ومن المعلوم ان رسول الله ﷺ قد بعث الى الناس كافة، وليس من الممكن ان يشافه الجميع لتبليغهم رسالة ربه، كما انه ليس من الممكن ان يبلغ أحكام الشريعة إلى جميع الأقطار وإلى كل فرد على وجه التواتر.

فلذلك كان يبعث افرادا من الصحابة دون التواتر ليبلغوا احكام الشريعة الى أمته، فكان الاكتفاء بخبر الآحاد في التبليغ ضروريا.

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في اثبات =

=العقائد، قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) والتفقه في الدين يشمل العقائد والأحكام ـ وقوله : لينذروا قومهم دل على ان انذارهم يعمل به.

والطائفة تطلق على نفر يسير كالثلاثة وتطلق على عدد دون حد التواتر، وتطلق الطائفة أيضا على الواحد، قال القرطبي في تفسيره : المراد بقوله تعالى : (ان تعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) رجل واحد، وقال ابن الأنباري : يطلق لفظ الجمع على الواحد كقولك : خرج فلان على البغال.

وفي صحيح البخاري في كتاب اخبار الاحاد ما نصه : ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية.

وقال القرطبي : عند قوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) انص مايستدل به على أن الواحد يقال له طائفة قوله تعال : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) يعني نفسين دليله قوله تعالى : (فاصلحوا بين اخويكم) فجاء بلفظ التثنية والضمير في اقتتلوا وان كان ضمير جماعة فاقل الجماعة اثنان في أحد القولين للعلماء.

وفي كتاب المغني في أصول الفقه لجلال الدين الخبازي / ص / 194 / ان حديث الآحاد حجة للعمل به في الدين والدنيا لقوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) وهي اسم للواحد فصاعدا.. ولأنه ﷺ مأمور بالتبليغ ومعلوم انه لم يذهب إلى كل قبيلة وباب كل احد وانما بعث عليه السلام رسولا او كتابا فلو لم يكن حجة ينفتح باب الطعن بالتقصير في التبليغ انتهى منه.

وقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) ويفهم من دليل خطاب هذه الآية الذي هو مفهوم مخالفتها، ان من لم يكن فاسقا بان كان معروفا بالعدالة والصدق اذا جاء يخبر ما يلزم العمل به ولا يجب التبين بل يؤخذ حالا.

وفي صحيح البخاري عن مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فاقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله ﷺ بنا رفيقا فلما ظن انا قد اشتهينا اهلنا سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال : ارجعوا الى اهليكم فأقيموا=

=فيهم وعلموهم ومروهم ــ وذكر أشياء احفظها ولا احفظها ــ وصلوا كما رايتموني اصلى فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم وليؤمكم اكبركم.

فأنت ترى من خلال هذا الحديث أنه ﷺ أمر كل واحد من هؤلاء الشباب ان يعلم كل واحد من أهله والتعليم يعم العقيدة بل هي أول مايدخل في العموم.

وسمعت شيخنا الحافظ حجة الاسلام محمد يحيى بن الشيخ الحسين اثناء شرحه لبيتي مراقي السعود :

(ولا يفيد العلم بالاطلاق عند الجماهير من الحذاق)
(وبعضهم يفيد إن عدل روى واختير ذا إن القرينة احتوى)

يقول بعد أن استعرض رحمه الله جملة من أقاويل العلماء واختلافاتهم في الاحتجاج بحديث الآحاد، : الصواب هو قطعية حديث الآحاد وقال رحمه الله : استحسن ماقاله الامام احمد بن حنبل : (ان الشريعة قطعية واكثرها ثابت بحديث الآحاد فلو لم تكن احاديث الآحاد قطعية لما كانت الشريعة قطعية وهذا مستحيل).

ويجدر بنا أن نختم هذا المبحث بما ذكره العلامة محمد الامين بن محمد المختار في مذكرة اصول الفقه، في القسم المتعلق باخبار الآحاد حيث قال مانصه : اعلم ان التحقيق الذي لايجوز العدول عنه أن اخبار الآحاد الصحيحة كما تقبل في الفروع تقبل في الاصول فما ثبت عن النبي ﷺ باسانيد صحيحة من صفات الله يجب اثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وبهذا تعلم ان ماطبق عليه اهل الكلام ومن تبعهم من أن اخبار الآحاد لاتقبل في العقائد ولا يثبت بها شيء من صفات الله زاعمين ان اخبار الآحاد لاتفيد اليقين وان العقائد لابد فيها من اليقين باطل لايعول عليه، ويكفي من ظهور بطلانه انه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل.

وقال رحمه الله : فيجب على المسلم ان يتقبل كل شيء ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح ويعلم انه ان لم يحصل له الهدي والنجاة باتباع ماثبت عنه ﷺ فانه =

= لايحصل له ذلك بتحكيم عقله التائه في ظلمات الحيرة والجهل. انظر مذكرة اصول الفقه.

ومن أراد التوسع في معرفة الاحتجاج باخبار الآحاد وانها تفيد العلم فلينظر التبصرة في اصول الفقه لابي اسحاق الشيرازي / ص / 303.

وإحكام الفصول في أحكام الاصول للباجي، والاحكام في اصول الاحكام لابن حزم وفتح الباري : كتاب اخبار الآحاد.

وللامانة أنبه القارىء الكريم الى ان شلتوت رحمه الله قد صدرت منه بعض الفتاوى، فيها من التساهل وضعف الحجة ماهو جلي واضح وقد طبعت هذه الفتاوي وانتشرت بين الناس فارتكب المتساهلون بسببها مخالفات صريحة (كاباحته لعقود التأمين وفوائد القروض، وما ذكرناه عن محمود شلتوت لانقصد به القدح في شخصه ولا الغض من مكانته بل نصيحة للمسلمين وتنبيها لهم في الحذر من الأخذ ببعض هذه الفتاوى المخالفة لنصوص الشريعة. واتذكر مرة اني احضرت هذه الفتاوى لشيخي العلامة حجة الاسلام محمد يحي بن الشيخ الحسين تغمده الله برحمته وقرأت عليه أشياء متفرقة من هذه الفتاوى فقال : أعوذ بالله مما سمعت هل رجع هذا الرجل عما قال وتاب مما كتب؟ قلت له سمعت انه عندما لابسه المرض ويئس من الشفاء اشهد بعض الحاضرين من عواده انه تائب مما كتب وانه راجع عن قوله باباحة التأمين، وقليل الربا وامر بحرق فتاوى شاذة كانت قد صدرت منه. قال محمد يحيى رحمه الله : ارجو الله ان يغفر له واردف قائلا : لكن ينبغي ان لاتترك هذه الفتاوى في متناول ايدي الناس نظرا لما فيها من التساهل البين.

وأشهد أنَّ افضل[16] الخلق إنساً وجناً وملكاً هو سيدنا ونبينا محمد ﷺ.

---

(16) — يجب الاعتقاد والايمان بانه ﷺ افضل المخلوقات على الاطلاق واجمع المسلمون على ذلك ولم يخالف فيه الا الزمخشري من المعتزلة حيث ذهب الى تفضيل جبريل عليه السلام. قال تاج الدين السبكي : لاخلق افضل منه ﷺ لابشر ولا ملك ولا كون من الأكوان.

مبحث : قال اللقاني في جوهرته :

(وافضل الخلـــق على الاطـــلاق نبينـــا فمـــل عـــن الشقـــاق)

قال في تحفة المريد : أي أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية منها والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة في سائر خصال الخير واوصاف الكمال هو نبينا محمد ﷺ، وماورد من النهي عن تفضيله ﷺ كقوله : لا تفضلوني على الانبياء وقوله : لاتفضلوني على يونس بن متى، وقوله : لاتخيروني على موسى ونحو ذلك فمحمول على تفضيل يؤدي الى تنقيص غيره من الأنبياء او قاله تأدبا وتواضعا، وقيل معنى : (لاتفضلوني على يونس بن متى أي تعتقدوا اني اقرب الى الله من يونس في الحس حيث ناجيته سبحانه فوق السماوات السبع، وهو ناجى ربه في بطن الحوت في قاع البحر لتنزهه تعالى عن الجهة والمكان فيستوى في حقه سبحانه من فوق السماوات ومن في قاع البحار.

ويجدر بنا ان نسوق هنا ما ذكره صديقنا وأخونا في الله العلامة المحدث محي السنة قامع البدعة معدن الكرم وسلالة الشرف فرع الشجرة الطيبة شريف النفس =

=والنسب حضرة محمد بن علوي المالكي خادم العلم بالبلد الحرام عمره الله معافا وجعله منارا للسنة، في كتابه (قل هذه سبيلي) قال مانصه : ونعتقد انه ﷺ بشر يجوز عليه مايجوز على غيره من البشر من حصول الاعراض والامراض التي لاتوجب النقص والتنفير كما قال صاحب العقيدة :

(وجائز في حقهم من عرض بغير نقص كخفيف المرض)

وانه ﷺ عبد لايملك لنفسه ضرا ولانفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا قال تعالى : (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون).. والبشرية هي عين إعجازه فهو بشر من جنس البشر لكنه متميز عنهم بما لايلحقه به احد منهم او يساويه كما قال ﷺ عن نفسه : (اني لست كهيئتكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني) وبهذا ظهر أن وصفه ﷺ بالبشرية يجب ان يقترن بما يميزه عن عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة، وهذا ليس خاصا به ﷺ بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى لتكون نظرتنا اليهم لائقة بمقامهم وذلك لان ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك، فمن ذلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله عنهم اذ قال : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا).. ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح فيما حكاه الله عنه بقوله : (ماانت الا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصٰدقين) ومن ذلك قول المشركين في حق سيدنا محمد ﷺ وقد رأوه بعين البسرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق).

ولقد تحدث رسول الله ﷺ عن نفسه حديث الصدق بما اكرمه الله تعالى به من عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر انواع البشر. فمن ذلك ماجاء في الحديث الصحيح انه قال : (تنام عيناي ولا ينام قلبي) وجاء في الصحيح انه قال : (اني اراكم من وراء ظهري كما أراكم من أمامي).

وجاء في الصحيح انه قال : (أوتيت مفاتيح خزائن الارض) وهو ﷺ وإن=

=كان قد مات إلا أنه حي حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من صلى عليه، وان الله حرم على الارض ان تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية. انتهى

وفي دلائل النبوة للعالم الشهير عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا مالفظه : وبعض الناس حينما يقرأ القرآن فتمر عليه الآية الكريمة : قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الي) يقف عند كلمة : (بشر) فيحاول التركيز عليها وتوجيه الانتباه كله اليها وتحويل الانظار كلها نحوها فيتحدث عن خصائص البشرية العادية ويبرزها ويندفع في هذا الاتجاه المنحرف اندفاعا لا يتناسب قط مع قوله تعالى : (يوحى إلَيّ) بل إنه في اندفاعته الهوجاء ينسى (يوحى الي) ويهملها اهمالا، إنه ليس بنادر في العصر الحاضر أن يجرؤ بعض الناس فيحدث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعن خطئه ـــ معاذ الله ـــ في الرأي وعن إصابته ـــ مستنتجا ومستنبطا وحاكما وينسى في كل ذلك. (وما ينطق عن الهوى) وينسى في كل ذلك (يوحى الي) وينسى (لست كهيئتكم) وينسى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا).

ويروي لنا عبد الحليم محمود قصة ذات مغزى عميق ويقول : زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد رضي الله عنه ـــ وقال : هل هنا احد ممن اجتمع بأبي يزيد؟ فأشير إلى شيخ كبير في السن كان حاضرا هناك فقال له : هل سمعت شيئا من كلام ابي يزيد؟ فقال نعم سمعته قال : (من رآني لاتحرقه النار) فاستغرب السلطان ذلك الكلام فقال : كيف يقول ابو يزيد ذلك وابو جهل رآ النبيَّ ﷺ وتحرقه النار؟ فقال ذلك الشيخ للسلطان : أبو جهل لم ير النبي ﷺ إنما رآ (يتيم ابي طالب) ولورآة ـــ ﷺ ـــ لم تحرقه النار. ففهم السلطان كلامه واعجبه هذا الجواب منه. أي أنه لم يره بالتعظيم والاكرام والأسوة واعتقاد انه رسول الله. ولو رآن بهذا المعنى لم تحرقه النار لكنه رآه باستخفاف واعتقاد انه (يتيم أبي طالب) فلم تنفعه تلك الرؤية.. وقال رحمه الله : ومن الحقائق المعروفة أن الانسان يميل الى التركيز على : (بشر) أو على (يوحى الي) حسب قوة شعوره الديني وضعفه فالذي لاايمان له لا يرى إلا=

=البشرية، ومن ضعف إيمانه يركز على البشرية، ويخف التركيز على البشرية كلما قوي الايمان ويزداد التركيز على : (يوحى الي) كلما ازداد الايمان حتى يصل الانسان الى أن لايرى ــ أو لا يكاد يرى ــ الا (يوحى الي) انتهى منه

وأومن أنه ﷺ أول شافع[17] وأول مشفع وأن شفاعته ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر من أمته.

---

(17) ـ الشفاعة لغة الوسيلة والطلب، وعرفا سؤال الخير من الغير للغير. وقد فسر جمهور المفسرين قوله تعالى : (عسى ربك أن يبعثك مقاما محمودا) بأنه الشفاعة يوم القيامة، وفي سنن الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.. فيقال لي : ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى : الآية.

والشفاعة انواع : الشفاة الاولى وهي العظمى الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام النوع الثاني والثالث : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار أن لايدخلونها.

النوع الرابع : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ماكان يقتضيه ثواب اعمالهم.

النوع الخامس : الشفاعة في اقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب.

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، وشفاعته ﷺ =

= في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها. ففي سنن ابي دادو من حديث انس : (شفاعتي لاهل الكبائر من امتي) فنرجو من الله تعالى أنْ يدخلنا الجنة بغير حساب بجاه شفيعنا وملجئنا محمد ﷺ.

الفصل الثاني

مبحث : مما يثير الدهشة والاستغراب ماجاء في التعليق الذي طبع أخيرا بهامش شرح عمود النسب، من اعتراض صاحب التعليق على الشارح في وصفه للنبي ﷺ بأنه الملجأ والملاذ، وفي رأينا انه اعتراض لم يرزق حظه من الصواب، ولذا فسنود على اعتراض المعلق بكل امانة وانصاف ونقول والله الموفق الى سواء السبيل : جاء في التعليق الذي بهامش الجزء الأول من كتاب تحفة الالباب المعروف بشرح حماد على عمود النسب ص / 15/ مانصه : (قوله الشارح : ملجؤنا وملاذنا يعنى بهما رسول الله ﷺ عبارة بشعة حيث إن الملجأ والملاذ رب الجلال والكمال تبارك وتعالى).

ونلفت كريم علم المعلق إلى أن هذه العبارة التي استبشعها وقف منها شعر رأسه قد وصف بها ﷺ، ونودِيَ بها، وأُنشدت بحضرته الشريفة، وأقرَّها ولم ينكرها ومن المعلوم انه ﷺ لايقر على باطل، ومن البديهي، عند من له ادنى إلمام بأصول الفقه ان التقرير احد أقسام السنة كما هو معروف فقد مُدِحَ ﷺ : بأنه الركن والعصمة والملاذ والثمال والرجاء والوسيلة، والشفيع، وبأنه مفرج الكربات وبأن نبي الله ابراهيم عليه السلام لم تحرقه النار بسبب كون نبينا محمد ﷺ كان نطفة في صلبه.

واعلم أيها العزيز الكريم أن كل كلمة مما ذكرنا أنه مُدِحَ بها ﷺ سندعمها بشاهد صريح مع عزوه الى المصدر الذي يوجد فيه. وإليك بيان ذلك :

ففي كتاب الاستعاب الذي بهامش الاصابة الجزء الأول ص / 264 / وفي أسد الغابة الجزء الأول / ص / 352 / ان حسان بن ثابت نادى رسول الله ﷺ ومدحه بقوله :

=

=(ياركن معتمد وعصمة لائذ ومـلاذ منتجع وجار مجاور)
(يامن تخيره الاله لخلقه فحباه بالخلق الزكي الطاهر)
(انت النبي وخير عصبة آدم يامن يجود كفيض بحر زاخر)
(ميكال معك وجبريل كلاهما مدد لنصرك من عزيز قاهر)

فدعا له النبي ﷺ بالخير، والدعاء بالخير بعيد عن الاستبشاع. واذا رجعت الى معاجم اللغة وجدت كلمة الملاذ والثمال والملجا والركن والمعقل والعماد والحصن بمعنى واحد تقول العرب لاذ به : لجأ إليه وعقل اليه أي لجأ، العقل والمعقل : الملجأ والحصن قال احيحة :

(وقد اعددت للحدثان عقلا لو أن المرأ ينفعه العقول)

وكثيرا ما تمدح العرب الشخص في الأزمات الحسية والمعنوية بأنه المعقل والملجأ وتقول : فلان معقل لقومه أي ملجا قال الكميت :

(لقد علم القوم أنا لهم إزاء وأنا لهم معقل)

وقال كعب بن مالك :

(وفينا رسول الله والاوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر)

والعصمة في كلام العرب : المنع، وقال ابن المظفر : اعصم اذا لجأ الى الشيء والثمال : الملجا والغياث قال الخطيئة :

(فدى لابن حصن ما اريح فانه ثمال اليتامى عصمة في المهالك)

وفي اساس البلاغة : هو ثمال قومه اي قوامهم وغياثهم.

والركن : الناحية القوية تقول العرب : فلان ياوى الى ركن شديد اي عز ومنعة.

وفي شفاء السقام في زيارة خير الانام للامام تقي الدين السبكي مالفظه : عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء اعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله اتيناك وما لنا صبي يصطبح ولا بعير يئط واورد ابن السبكي ابياتا منها هذا البيت :

=

=(وليس لنا الا إليك فِرارُنا   وأين فرارُ الناس إلا إلى الرسل)

فقالم رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه ثم قال : اللهم اسقنا وذكر الدعاء.. فما رد النبي ﷺ يده حتى التقت السماء بأرواقها وجاء اهل البطانة يصيحون الغرق الغرق فقال النبي ﷺ : حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل، وضحك النبي ﷺ ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال : علي بن ابي طالب رضي الله عنه يارسول الله كأنك تريد قوله :

(وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل)
(يلوذ به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل)

فقال رسول الله ﷺ أجل، محل الشاهد استنشاد النبي ﷺ البيتين فلو كان في ذلك بشاعة لانكره ولم يطلب انشاده.

قال ابن الأثير في النهاية : الثمال ــ بالكسر ــ الملجأ والغياث.

وفي دلائل النبوة للبيهقي الجزء الثاني / ص / 31 / ان سواد ابن قارب مدح النبي ﷺ بابيات منها :

(وانك ادنى المرسلين وسيلة   الى الله يابن الاكرمين الاطايب)
(وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة   بمغنى فتيلا عن سواد بن قارب)

فضحك رسول الله ﷺ وقال له : افلحت ياسواد فلم ينكر عليه قوله (ادنى المرسلين) ولا قوله (وكن لي شفيعا).

وفي بعض المراجع رواية اخرى للبيت الثاني وهي : وكن لي ملاذا) كما في بضع نسخ طرة العلامة المختار بن بونه.

وفي الجزء الثاني من دلائل النبوة للبيهقي / ص / 39 / ان خفاف بن نضلة الثقفي مدح النبي ﷺ بانه مفرج الكربات قال :

(فركبت ناجية اضر بمتنها   جمر تخب به على الاكمات)
(حتى وردت الى المدينة جاهدا   كيما اراك فتفرج الكربات) =

= فاستحسنها رسول الله ﷺ ولم ينكر عبارة (فتفرج الكربات) وقد مدح العباس بن عبد المطلب النبي ﷺ بابيات مضمونها ان رسول الله ﷺ كان في الجنة قبل خلق الدنيا وبأنه كان نطفة يركب سفينة نوح وبأن ابراهيم لم يحترق لأنه ﷺ كان نطفة في صلبه والابيات هي :

(من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف لورق)
(ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق)
(بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق)
(وردت نار الخليل مكتتما ... في صلبه انت كيف يحترق)
(تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق)
(حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق)
(وانت لما ولدت اشرقت الار ... ض وضاءت بنورك الافق)
(فنحن في ذلك الضياء وفي النو ... ر وسبل الرشاد نخترق)

أورد هذه البيات الشامي في كتابه سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد الجزء الأول / ص / 90 وابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثاني / ص / 258 / وابن القيم في زاد المعاد الجزء الثالث / ص / 551 تحقيق شعيب الارنؤوط. والذهبي في سير اعلام النبلاء الجزء الثاني / ص / 102 / والقارى في شرح الشفاء الجزء الثاني / ص / 319 / وابن العربي في عارضة الاحوذى.

مبحث : حضرة المعلق لاشك انك ستدرك بقلبك المعروف «بالذكاء واليقظة وبذهنك المرهف» ما سأذكره لك، وهو أن من الناس من لايفرق بين التعظيم والعبادة ويلتبس عليهم تعظيم النبي ﷺ بالعبادة التي لاتكون الا لله تعالى، ويتوسع في فهم حقية الشرك، واطلاقه ويتسرع في الصاق تهمة الشرك بمن يصدر منه أي قول أو فعل، مخالف لاعتقاده ورأيه حتى إن المنصف اذا حاول احصاء اهل التوحيد، حسب زعم من اشرنا اليه، لما سجل الا القلة من المسلمين في ديوان الموحدين.

واعلم : ان تعظيم رسول الله ﷺ واجب على كل مسلم لان الله تعالى عظمه ومدحه وأمر المسلمين بتعظيمه ووصف الله تعالى الذين يعظمونه بأنهم هم المفلحون، =

=قال تعالى : (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه واولائك هم المفلحون). وقال تعالى : (لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا) قال القرطبي : اي تعظموه وتفخموه، والتعزير : التعظيم والتوقير. وقال : الهاء فيهما للنبي ﷺ.

ومدح الله تعالى النبي ﷺ بقوله : (وانك لعلى خلق عظيم).

ومن تعظيم النبي ﷺ : مدحه ومخاطبته بالعبارات المتضمنة للتنويه والتعظيم، كالغياث والملاذ، ومن تعظيمه أيضا الخضوع له وليس مطلق الخضوع عبادة، وان فسر اللغويون العبادة بأنها الخضوع والتذلل بالمعنى الاعم، لأن الطاعة والخضوع واظهار التذلل، ليس على وجه الاطلاق عبادة، بل يكون للتعظيم، فخضوع الولد امام والده والتلميذ أمام أستاذه، والجندي امام قائده لايعد عبادة مطلقا مهما بالغوا في الخضوع والتذلل.

ويجدر بنا ان نسوق هنا ماذكره العلامة المحدث محمد حبيب الله بن مايابا في شرحه فتح المنعم على زاد المسلم / ج 2 ص / 31 / : (فمن خضع لمخلوق حيا كان أو ميتاً دون اعتقاد أوصاف الربوبية فيه لايكون عابدا له، وان كان الخضوع قد يكون محرما في بعض صوره كما اذا كان لغني على غناه لكنه لا يكون عبادة، فجعل كل خضوع عبادة وان كان محرما قصور واضح وجهل فاضح لان الخضوع قد يكون واجبا كما اذا كان للنبي ﷺ لأن الله أمرنا بتعظيمه، وغض الصوت عنده وجعل ذلك من امتحان القلوب للتقوى في قوله تعالى : (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولائك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وقال تعالى : (لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تبحط اعمالكم وانتم لاتشعرون) ويكفي من تعظيم الله له قوله تعالى : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) الى غير ذلك من الآيات التي توجب تعظيمه على سائر امته غير أنه لايعبد مع الله تعالى لقوله تعالى : (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيئين اربابا ايامركم بالكفر بعد=

=اذ انتم مسلمون) وغير ذلك من الآيات الناهية عن عبادة غير الله تعالى وعن رجاء نفع او ضر إلا منه تعالى، وقد يكون الخضوع مندوبا كما اذا كان للوالدين او لايمة المسلمين او للعلماء العاملين وقد قيل بوجوبه لهؤلاء ايضا). انتهى منه

وقد عظم الله آدم بأن اسجد له ملائكته قال تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ولم يتعقد أي مسلم أن سجود الملائكة شرك وعبادة لغير الله بل انما يعتقد ان عملهم كان تعظيما لآدم وتكريما لشأنه.

واعلم : ان العلماء قديما وحديثا كثيرا ما عبروا بالملجا والملاذ في مدائحهم للنبي ﷺ اعراباً عن التعظيم لجنابه والتكريم لشأنه والتفخيم لمقامه ولم ينكر احد عليهم ذلك ويحضرني من تلك المدائح قول العلامة محمد بن جابر من قصيدة له في مدح النبي ﷺ :

(فيا خير خلق الله جاهك ملجئي وحبك ذخري في الحساب وموئلي)
(عليك صلاة يشمل الآل عرفها واصحابك الاخيار اهل التفضل)

وفي نفح الطيب للمقرى في مدح النبي ﷺ :

(وانك شافع بر وموئلنا من الوهل)
(فانت ملاذ معتصم وانت عماد متكل)

ويحضرني من قول المتأخرين هذه الأبيات من قطعة للعلامة الشهير الورع محمد يحي الولاتي في مدح النبي ﷺ :

(قاصدا نحو بابكم مستغيثا للخطايا وان يهون عسير)
(ماله سوى جاهكم ملاذ والمحتمي بجاهكم لايضير)
(ياغياث الغياث انت غياثي وملاذي بغيثكم استثير)
(فاغثني بالأمنِ دنيا واخرى ياشفيعا للمذنبين يجير)

مبحث : وكذلك نرى العلماء يعبرون بالعصمة والملاذ، وكاشف الغماء والملجأ والثمال في الرثاء وفي مدح بعضهم للبعض، ولم نسمع ان أحدا انكر عليهم أو استبشع عبارتهم، ويحضرني من ذلك ما قاله تقي الدين محمود الدقوقي في رثاء ابن تيمية : =

....

=(وكنت ربيعا للمريد وعصمة فمذ صرت تحت الارض صوح ورده)

وله فيه أيضا من قصيدة طويلة :

(ياحامل الاعباء عن مستنصر ياكاشف الغماء عن مستنجد)

وقال نجم الدين بن المى يمدح ابن تيمية :

(بعزم تقي الدين احمد تتقى صروف زمان بالفوادح مرعب)

(وفي الجدب نستسقي الغمام بوجهه فنصبح في روض كناديه مخصب)

وفي كتاب العقود الدرية لابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية، كثير من المدائح والمراثي التي قيلت في شيخه ابن تيمية، تتضمن العديد من العبارات مثل الملاذ والركن والكهف، ولم يبلغنا ان ابن تيمية او احدا من انصاره انكر ذلك أو استبشعه أو رآه خارجا عن اطار التوحيد.

وقال المحدث العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي يرثي والده :

(وما كان الا ملجأ لذوى النهى وحصنا لدين الله لم يكن يرتقى)

(مطيعا لامر الله كان ومن يكن مطيعا لامر الله يخشى ويتقى)

وقال العالم الأديب سيدي عبد الله بن محم العلوي الشنقيطي يمدح السلطان محمد بن مولاي اسماعيل :

(ثمال اليتامى والايامى موكل بتفريج غماء الشجى المتنكد)

وقال العلامة المحدث الشهير مفتي المدينة المنورة سابقا محمد الخضر ابن مايابا الجكني يمدح الشيخ ماء العينين من قصيدة رائعة :

(الى ملجإ العافي مزيل الوساوس عن الصدر صدر الاحمق المتقاعس)

(منيل الاماني بالبشاشة والهنى اماني لم يدرك لها ذهن نابس)

الى ان قال :

(وملكه خوف الاله وشكره مقاليد اقفال الملوك الاشاوس)

(لقد كان اهلا للعويص وحله وهلا لاعطاء الجياد الدوابس)

(وهلا لمحو الكفر بعد امتداده ونيل العفاة اليسر حين الدراهس) =

=(هو الحصن والمأوى اذا الحرب شمرت واقبل علج نحوها بالقوانس)
(فكل من الدارين قبضة كفه ومنه تليدا نيل كل المحادس)

اعلم : ايها المعلق اصلح الله قلبك انه لو كان في هذه العبارات ما هو محظور يخشي منه على العقيدة لما نطق به محمد الخضر وهو الخبير بأسرار لغة العرب وبمدلولات الالفاظ، وهو المعروف بالابتعاد من التلفظ بقول يحتمل مقدار ذرة من الايهام.

ومدح العلامة العابد محمد عبد الرحمان بن اجدود بن اكْتَوَشْنِ العلوي الشيخ ماء العينين بقوله :

(ياشيخ اني من الدائي استجرت بكم اعيذ نفسي بكم ان لاترى شجنا)

لو كان هذا العالم يرى اي محظور في هذه العبارت لما نطق بها وهو الحريص على سلامة عقيدته.

والفت انتباه المعلق الى أن اطلاق لفظ الملجا على الله تعالى فيه نظر لأن الملجا اسم مكان وهو موضح اللجوء وكذلك الملاذ والصحيح الذي عليه أهل السنة ان أسماء الله تعالى توقيفية وليست من باب القياس قال في الاضاءة :

(وهي لنا تدري بالاستقراء من طرق التوقيف لا الاراء)

وخالفت المعتزلة والكرامية في ذلك وقالوا : ان اللفظ اذا دل العقل على ان المعنى ثابت في حق الله سبحانه جاز اطلاقه على الله تعالى سواء ورد التوقيف به أو لم يرد. ولو جاز إطلاق إسم الملجإ على الله تعالى لأطلقه رسول الله ﷺ وهو أعلم بما يليق بكمال الله وجلاله. فقد جاء في الحديث الصحيح من دعائه ﷺ :... لا ملجأ ولا منجى منك إلاّ إليك. لم يقل لاملجأ ولا منجى الاّ أنت. تأمل.

لقد كثر في هذا العصر اناس يرفعون شعار العلم ويوهمون العوام بأنهم هم المرجع لحل العويص من دقائق العلم ويتظاهرون بالطاعة حتى أنك تحقر صلاتك مع صلاتهم وصومك مع صومهم ومع ذلك فمعرفتهم بالعلوم الاسلامية محدودة، مصابون =

....

= بداء ضيق الافق لم يكن لهم المام بالسيرة النبوية واللغة العربية، الأمر الذي جعلهم ينكرون أشياء جلية، ومعلوم أنه كلما قل علم المرء كثر إنكاره وفي هذا الصدد يقول جدنا الشيخ ماء العينين في نظمه شمس الاتفاق محذرا من هذا الصنف من الناس الذين ليس عندهم من العلم الا القليل :

(وضيق العلم نكور للفلاح   واهله ذوي الصلاح والنجاح)
(اياك لاتقرب له ووسع   صدرك بالتقى وبالعلم وع)

ومع هذا كله يتبارون في الصاق تهمة الكفر والشرك بمن يصدر منه أي لفظ لايرونه مسطورا في دائرة معارفهم كالتوسل ولاستغاثة وزيارة التبرك.

مبحث : اود هنا ان اذكر للقارىء الكريم ما قاله بعض المحققين وهو أن المراد من الاستغاثة بالانبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وان الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون كما هو المعتقد الحق في سائر الأفعال، فإن السكين لايقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده..

قال السبكي والقسطلاني (في المواهب اللدنية) وابن حجر في الجوهر المنظم : ان الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الأنبياء والصالحين انما هي بمعنى التوسل الى الله بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي ﷺ واسطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيقي فالغوث منه تعالى انما يكون خلقا وايجادا والغوث من النبي عليه الصلاة والسلام انما يكون تسببا وكسبا. وقال تعالى : فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة الى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها فإن قيل : ان المستغاث في هذه الآية حي وله قدرة وانما كلامنا في الميت اجيب :

بان نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالا فهي كفر وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا فلا فرق بين الحي والميت.

اعلم ان حياة الرسول ﷺ ومماته لايغيران ماهية العمل اذ لو كان التوسل =

= شركا حقيقة للزم أن يكون كذلك في الحالتين من دون فرق بين حالتي الحياة والممات.

وفي كتاب (قضايا الوسيلة) : ان التوسل بالحي أو الميت ليس توسلا بالجسم ولا بالحياة ولا بالموت، ولكن بالمعنى الطيب الملازم للانسان في الموت والحياة وما الجسم الا حقيبة لصيانة هذا المعنى، فاستوجب بهذا تكريمه حيا كان أو ميتا، على أن قوله (يامحمد)، نداء للغائب الذي يستوى فيه الحي والميت فهو موجه الى المعنى الكريم على الله تعالى والملازم للروح والذي هو موضع التوسل بالحي او الميت على حد سواء). يقول البعض : ان الميت قد انقطع عمله وهو لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ونقول له ماقاله بعض المحققين : لافرق في ذلك بين الحي والميت فلا يملك احد ضرا لنفسه ولا نفعا بدون اذن الله وإرادته سواء اكان حيا أم ميتا ومع الأذن الالهي يملكون النفع والضر احياء كانوا أم امواتا.

تنبيه : قال بعض المحققين : لا مرية في أن الشفاعة حق خاص بالله سبحانه تعالى قال تعالى : (قل لله الشفاعة جميعا) الا ان في جانب ذلك دلت آيات كثيرة اخرى على ان الله اذن لفريق من عباده ان يستخدموا هذا الحق ويشفعوا في ظروف وضمن شروط خاصة قال تعالى : (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى : (لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمان عهدا) الظاهر من هذه الآية ان المتخذ للعهد يملك الشفاعة كما هو مقتضى الاستثناء، قال القرطبي عند هذه الآية : وتظاهرت الأخبار بأن أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون.

اعلم : اننا لو اعتقدنا بأن من نطلب منهم الشفاعة لهم ان يشفعوا لمن ارادوا ومتى ارادوا دون رجوع الى الاذن الالاهي فإن هذا الطلب والاستشفاع عبادة وكفر، والطالب يكون مشركا.

واما لو استشفعنا باحد هؤلاء الانبياء والاولياء ونحن نعتقد بأنه مخلوق لله لايضر ولا ينفع ولا يمكنه الشفاعة لأحد الا بإذنه تعالى، فهذا الطلب جائز ولايكون خارجا عن نطاق التوحيد.

وأومن بكرامات الأولياء[18] وأن الولي هو الممتثل لأوامر الله المجتنب لنواهيه.

الفصل الثالث

(18) ــ اعلم ان الكرامة هي ظهور امر خارق للعادة من قبل شخص ظاهر الصلاح والاستقامة غير مقارن لدعوى النبوة، فما لايكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة.

والفرق بين المعجزة والكرامة والسحر هو أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة مع التحدي، وأما الكرامة فهي أيضا امر خارق للعادة لكن من غير دعوى رسالة ولاتحد واما السحر فهو اظهار امر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة، ولا يتعاطاه إلا كافر أو زنديق، والمراد بأن السحر خارق للعادة أي أنه خارق نظرا للظاهر غير خارق نظرا لما في نفس الأمر.

والمعجزة والكرامة لاسبب لهما ولايمكن للعقلاء الاهتداء الى سببهما فهما مستندان الى واجب الوجود ابتداء من غير سبب بخلاف السحر فله سبب يمكن الاطلاع عليه لأكثر الناس. وقد استدل العلماء على وقوع الكرامة بما جاء من قصة السيدة مريم في قوله تعالى : (كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وتظهر الكرامة أحيانا على يد عبد ظاهر الصلاح والاستقامة، ومرجع الاستقامة الى امرين : صحة الايمان بالله تعالى. واتباع ماجاء به رسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، وامتثال الطاعات واجتناب المخالفات. =

= **مبحث** أثار استغرابي انكار المعلق لكرامة قد وقعت لأحد المشايخ(+) في موريتانيا وذكر أنه من باب الاستدراج.

قال احمد المختار في تعليقه على الجزء الأول ص 356 من كتاب تحفة الألباب : (ومد أصبعه الى شجرة تنضب في وسط ماء غدير بجنبه فاشتعلت النار فيها فعلا، وان هذا لهو الاستدراج بعينه)

وكنت قبل اطلاعي على انكار السيد المعلق (المدرس بالمسجد الحرام) احسبه قد حصل على نصيب من العلم يمكنه من التمييز بين الكرامة وبين الاستدراج، ومعلوم عند من له ادنى المام بعلم الكلام ان الاستدراج هو أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد فاسق مكرا به، وان الكرامة امر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والاستقامة من غير تحد. كما اشرنا إليه سابقا وعدم التمييز بينهما قصور واضح، ومن اراد التوسع في معرفة اقسام خرق العادة فاليراجع كتاب النشر الطيب على توحيد ابن عاشر الجزء الثاني ص 176.

وأنا اوجه سؤالا الى حضرة المعلق هل رأيت هذا الشيخ الذي اشرت إليه وفسرت ماصدر منه بأنه استدراج هل رأته مرتكبا لحرام كترك الصلاة او الزنا أو القذف او شتم اعراض المسلمين، وهل سمعت بان هذا الشيخ سافر يوما ما الى الامراء والاثرياء في الدول العربية ليستجديهم الأموال لانجاز مشاريع اسلامية وهمية ثم يجعل ما حصل عليه من الأموال في حسابه الخاص وهل؟ سمعت بأنه يختلس كتب الغير فيطبعها بدون ترخيص من أصحابها ليستفيد بذلك حطاما من متاع الدنيا.

حضرة المعلق إن كنت قد رأيت هذا الشيخ يرتكب شيئا مما ذكرنا، يكون ما صدر منه من أمر خارق استدراجا وتكون فيما رميته به صادقا.

وان كان هذا الشيخ الذي اشرت إليه هو المعروف عندنا في القطر الموريتاني بالاستقامة والعلم والتقي والورع والكرم، وانشاء المدارس لنشر العلم لوجه الله

(+) هو العلامة الولي الشهير الشيخ احمد ابو المعالي تغمده الله برحمته. =

....

=يكون ماصدر منه هو الكرامة بعينها، وتكون ايها المعلق مخطئا في اعتراضك وتكييفك لهذا الخارق.

وتبيانا للحق في هذه المسألة وذودا عن جناب الأولياء المتقين، فإننا سنرد على المعلق في انكاره لهذه الكرامة، ويكون الرد بما قاله الامام الشوكاني في كتابه قطر الولي على حديث الولي في معرض كلامه على كرامات الأولياء، وهو كلام فريد في بابه، كأنما كتبه رحمه الله للرد على (المدرس بالمسجد الحرام) أو لعله كان له في زمنه مثل صاحبنا من المنكرين لكرامات الاولياء او ممن ضعفت فيه ملكة التمييز بين الكرامة والاستدراج.

قال الشوكاني مانصه : (ومن موهب له هذه الموهوبات الجليلة وتفضل عليه بهذه الصفات الجميلة فغير بعيد، ولامستنكر ان تظهر على يده من الكرامات التي لاتنافي الشريعة والتصرفات في مخلوقات الله عز وجل الوسيعة، لأنه اذا دعاه أجابه وإذا سأله اعطاه، ولم يصب من جعل مايظهر من كثير من الأولياء من قطع المسافات البعيدة، والمكاشفات المصيبة، والافعال، التي تعجز عنها غالب القوى البشرية، من الأفعال الشيطانية والتصرفات الابليسية.

فإن هذا غلط واضح، لأن من كان مجاب الدعوة لايمتنع عليه ان يسأل الله سبحانه ان يوصله الى أبعد الامكنة التي لاتقطع طريقها الا في شهور في لحظة يسيرة، وهو القادر القوى الذي ماشاء كان، ومالم يشأه لم يكن، وأي بعد في ان يجيب الله دعوة من دعاه من أوليائه في مثل هذا المطلب واشباهه. وفي مثل هذا يقال ماقاله الشاعر :

(والناس الف منهم كواحد   وواحد كالألف إن أمر عنا)

وقول الآخر :

(ولم ار امثال الرجال تفاوتا   من الناس حتى عد الف بواحد)

بل هذا الذي تفضل الله عليه بهذه التفضلات لايعد له الالف ولا الآلاف ممن لم ينل مانال، ولا ظفر بشيء من هذه الخصال.

(فمالك والتلدد حول نجد   وقد غصت تهامة بالرجال)=

= ومن نظر في مثل الحلية لأبي نعيم، وصفوة الصفوة لابن الجوزى عرف صحة ماذكرناه، وماكان عطاء ربك محظورا.

وكم للصحابة، رضي الله عنهم، من الكرامات التي يصعب حصرها وسنشير الى بعضها قريبا، ولو لم يكن منها إلا إجابة دعاء كثير منهم. وقد عرفناك أن أجابة الدعاء هي أكبر كرامة، ومن أكرمه الله بذلك دعا بما يشاء كيف يشاء من جليل الأمور، وحقيرها، وكبيرها، وصغيرها.

.. واما مجرد استبعاد ان يهب الله سبحانه لبعض عباده امرا عظيما ويعطيه ماتتقاصر عنه قوى غيره من المنح الجليلة، والتفضلات الجزيلة فليس من مرادات المتصفين بالانصاف. وكثيرا ماترى الجبان إذا حكيت له أفعال الأفراد من أهل الشجاعة من مقارعة الأبطال، وملابسة الأهوال ومنازلة العدد الكثير من الرجال يستبعد عقله ذلك ويضيق ذهنه عن تصوره ويظنه باطلا، ولاسبب لذلك إلا أن غريزته المجبولة على الجبن الخالع تقصر عن أقل قليل من ذلك وتعجز عن الملابسة لأحقر منه.

وهكذا البخيل إذا سمع مايحكى عن الأجواد من الجود بالموجود والسماحة بالكثير الذي تشح نفوس من لم يهب الله له غريزة الكرم المحمودة بعشر معشاره ظن أن تلك الحكايات من كذب الوراقين ومن مخرقة المخرقين وهكذا من قل حظه من المعارف العلمية، وقصر فهمه عن إدراك الفنون المتنوعة استبعد عقله، ونبا فهمه عن قبول مامنح الله به اكابر علماء هذه الأمة.. فاعرف هذا، واعلم أن مواهب الله عز وجل لعباده ليست بموضع لاستبعاد المستبعدين، وتشكيك المشككين،.. وهذا عارض من القول اقتضاه تقريب مايتفضل الله به على خلص عباده الى الاذهان الجامدة، والطبائع الراكدة حتى تتزلزل عن مركز الانكار، وربك يخلق مايشاء ويختار.
ومن نظر إلى ماوهبه الله سبحانه للصحابة رضي الله عنهم، لم يستبعد شيئا مما وهبه الله عز وجل لأوليائه ويصعب الاحاطة بأكثر ذلك فضلا عن كله. ونذكر الآن بعض كراماتهم على التفصيل والتعيين.

فمنها أن اسيد بن حضير رضي الله عنه كان يقرأ سورة الكهف فنزلت عليه =

=السكينة من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة، وأخبر بذلك النبي ﷺ فقال له : لو استمر على تلاوته لاستمرت تلك السكينة واقفة عليه باقية عنده.

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت أو سبح مافيها، وخرج عباد ابن بشر واسيد بن حضير من عند رسول الله ﷺ في ظلمة الليل فأضاء لهما أطراف السوط فلما افترقا، افترق الضوء معهما وكان الصديق رضي الله عنه يأكل هو واضيافه من القصعة، فلا يأكلون لقمة الا ربا من اسفلها اكثر منها فشبعوا، وهي أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا.. وخرجت ام أيمن وهي صائمة، وليس معها زاد ولا ماء فعطشت حتى كادت تتلف، فلما كان وقت الفطر سمعت حسا على رأسها فرفعته فإذا هو دلو برشاء أبيض معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بعدها. واخبر سفينة مولى رسول الله ﷺ الاسد انه مولى رسول الله ﷺ فمشي معه الأسد حتى أوصله الى مقصده.

والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله أبر قسمه. وكان الحرب اذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يابراء اقسم على ربك فيقول : اقسم عليك يارب لما منحتنا اكتفاهم، وجعلتني أول شهيد فمنحوا اكتافهم وقتل شهيدا.

وحاصر خالد بن الوليد رضي الله عنه حصنا فقالوا : لانسلم حتى تشرب السم فشربه، ولم يضره.

ودعا الله العلاء بن الحضرمي بأن يسقوا، ويتوضئوا، لما عدموا الماء ولا يبقى بعدهم فاجيب، ودعا لما اعترضهم البحر، ولم يقدروا على المرور، فمروا بخيولهم على الماء مابتلت سروج خيولهم.

وكان للتابعين من الكرامات ماهو معروف في كتب هذا الشأن حسبما قدمنا الاشارة اليه، وكذلك من بعدهم.

وقد كان في التابعين من القي في النار فوجد قائما يصلي، وهو أبو مسلم الخولاني ولما قدم المدينة جعله عمر بينه وبين ابي بكر. وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم. ودعا على امرأة افسدت=

=عليه زوجته فعميت فتابت. فدعا لها فرد الله عليها بصرها.

ومنهم من مات فرسه في الغزو فقال اللهم لاتجعل لمخلوق علي منة. ودعا الله فأحياه. فلما وصل الى بيته قال يابني خذ سرج الفرس فإنه عارية. فأخذ سرجه فمات، وهو صلة بن أشيم.

وكان مطرف بن عبد الله الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته.

والحاصل أن من كان من المعدودين من الاولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره مقيما لما أوجب الله عليه. تاركا لمانهاه الله عنه مستكثرا من طاعاته. فهو من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لايحل لمسلم إن ينكرها.

انتهى من قطر الولي على حديث الولي / ص / 234 الى 256 للشوكاني.

واعلم أن ماذكره الشوكاني من كرامات الصحابة والتابعين ذكره ابن تيمية بحروفه في الفتاوى : الجزء الحادى عشر ص / 276.

وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية عند كلامه على ترجمة ابي تراب النخشبي، في فصل خصصه لاثبات كرامات الأولياء، مانصه :

اعلم أولا أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو ولي، أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين فإنها معجزة للنبي ﷺ لأن صاحبها انما نالها بالاقتداء به ﷺ، وهو معترف له بأنه مقدم خليقة الله، وصفوتهم، وسيد البشر الذي من بحره تستخرج الدرر، ومن غيثه يستنزل المطر، وهذا المعنى يصلح ان يكون سببا اجماعيا عاما في الإظهار، لاسيما في عصر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، فإن الكفار اذا رأوا مايظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم ﷺ وعلموا انهم على الحق، فربما كان هذا سببا في الإظهار.

وبعد ان ذكر السبكي عدة كرامات وقعت لبعض الصحابة ولبعض التابعين مثل ماذكر الشوكاني وابن تيمية، عد كثيرا من الكرامات التي وقعت لبعض الأولياء ممن تأخر بامد طويل عن زمن التابعين. وقال مالفظه : **وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد أكلها، وقوله لها :=**

....

=قومي باذن الله الذي يحي العظام وهي رميم. فقامت دجاجة سوية. وذكروا أن الشيخ أبا يوسف الدهماني مات له صاحب فجزع عليه أهله. فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له : قم باذن الله، فقام وعاش بعد ذلك زمنا طويلا.

وانفلاق البحر وجفافه، والمشي على الماء، وكل ذلك كثير، وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد.

.. ورؤية المكان البعيد من وراء الحجب، كما قيل إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

ونلفت انتباه القارىء الكريم الى ان ماذكره الامام الشوكاني وابن تيمية وابن السبكي يكفي من الرد على صاحب التعليق في انكاره لكرامة ذلك الشيخ الذي اشار إليه ويكفي ايضا من الرد على انكاره لكرامات قطب سجلماسة : احمد الحبيب اللمطي الذي وصفه المعلق بعبارات قذيعة، يصعب على المسلم الملتزم النطق بها، هلا سمع المعلق؟ قول البلقيني :

(ماكان من شيم الأبرار أنْ يسموا بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا)

والمسلم الملتزم إذا كان قد قرأ حديث المصطفى ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) يمنعه ذلك من التهجم على عرض المسلم وهتك كرامته وهذا الحديث بمعانيه السامية يضفي على المسلم حصانة لايجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرقها بالثلب والشتم.

وإليك بعض العبارات التي وصف بها المعلق قطب سجلماسة، قال في تعليقه على الجزء الثاني من كتاب تحفة الألباب شرح الأنساب / ص / 276 / عند قول البدوي :

(من نسله الرائق جداً سيدى احمدُ قطبُ سجلْماسَ المُهتدى)

مالفظه : صوابه أن يقول المبتدع الدجال، ثم بعد أن وجه إليه وابلا من الشتائم، وبسط لسانه فيه بقوارص الكلام ووصفه بأشنع العبارات، انكر كل الكرامات التي نسبها الشارح إليه، وقال إنه دجال كذاب يضحك على عقول العامة.=

= ونلفت كريم علم المعلق إلى أن ما وصف به سيدي احمد الحبيب، هو عكس وخلاف ماذكره عنه العلماء الاجلاء الذين ترجموا له، فقد وصفوه بالعلم والورع والصلاح. وإليك ماذكره ابن الطيب في كتابه نشر المثاني الجزء الرابع — ص — 94 — في ترجمة أحمد الحبيب اللمطي. قال : هو الولي الشهير العالم العلامة المدرس الزاهد الكبير فريد العصر، المتحلى من الفضائل والفواضل بما يبهر العقول كان من أكابر الزهاد وممن شاعت كرامته وفضائله في الأرض والبلاد. وممن اجمع الخاص والعام على ولايته واعترف الكل بتحقيقه للعلوم ودرايته. انتهى

ووصفه صاحب الشجرة الزكية بقوله : الشيخ الإمام العمدة الفاضل القدوة المتوفي سنة 1165 هـ تُرى ماحمل المعلق سامحه الله على هذا الفيض من الكلمات النابية الجارحة في حق هذا الولي الكبير والعالم الجليل الذي وصفه العلماء المحققون بما يناسب مقامه من الأوصاف الحميدة، فقد كان احمد الحبيب اللمطي ممن يرجع إليه في حل المشكلات، ويستصبح بضوئه في المعضلات وتشد إليه الرحال للاقتباس مما حباه الله به من فيوضات معارفه.

أقول : ماحمل المعلق على الاستطالة في عرض هذا العالم الشهير وشحذ لسانه عليه، هل ثبت عنده ولو بالسماع أن سيدي أحمد الحبيب كان يمارس اعمال الفسقة وهل بلغه عنه أنه كان يتعامل بالربا وهل كان سليط اللسان يرهفه على الناس لثلب اعراضهم ونهش لحومهم وملك عظامهم، وهل كان يقذع أهل العلم، وينحت أثلة ذوي الاحساب الكريمة، ويتلذذ باغتيابهم، وهل ثبت عند المعلق أن احمد الحبيب كان ممن يتعقب سقطات المسلمين، ويترقب فرطاتهم، وينقب عن عوراتهم، ويترصد عثراتهم، وهل كان همازاً لمازاً، سبابةً لساعةً.

تُرى ماذا يكمن وراء الأكمة؟

ينبغي للمعلق اصلح الله باله أن يكف عن سلق أعراض العلماء الذين هذبوا القلوب بنور العلم وأنفقوا أموالهم في سبيل الله، ورفعوا راية الجهاد في وجه الكفار المحتلين، ونشروا الدعوة الاسلامية في افريقية وفي غيرها من اقطار العالم.

وكان ينبغي له ان يوجه «قلمه السيال» إلى من يحارب الاسلام من بهائية=

=وقديانية وشيوعية، ويرد على الاقلام المسمومة التي تنهش لحوم ايمة الاسلام وقادته. وكنت والله احب أن يجعل ابن الراوندي الزنديق، او ابن كرام المجسم مكان قطب سجلماسة.

كان أولي بالمعلق ان يوجه قلمه إلى تلك الطوائف التي ذكرنا والتي هي أكبر خطر يهدد الدول الاسلامية من الداخل والخارج حتى أن لها في كل بلد أنصارًا وأعوانًا بل وحكومات في قلب العالم الاسلامي.

ويجدر بنا أن نسوق للقارىء الكريم ماكتبه أحد العلماء في الآونة الآخيرة حيث استغرب فيه تلك الحملات المغرضة الموجهة إلى بعض المسلمين من طرف أقلام ماجورة ترفع شعار الاسلام زورا، قال : (لماذا تزامنت هذه الهجمة الكبرى مع بدايات الصحوة الاسلامية التي انبثقت اخيرا في العالم الاسلامي والتي تنذر المستعمرين واذنابهم وتهدد مصالحهم بالخطر؟

ولماذا هذه المحاولات والجهود لالقاء الفرقة والشقاق والاختلاف والتناحر بين طوائف هذه الأمة ولماذا هذه المساعي الرامية إلى تفكيك عرى المسلمين برمي هذه الطائفة أو تلك بالكفر والشرك وغير ذلك من التهم مع تزايد تصريحات الأجانب بأن إحياء الاسلام من جديد يشكل خطرا على مصالح الغرب.

مبحث : أود أن أستفسر حضرة المعلق عن أمر كان قد وقع له وهل نكيفه في عالم الكرامات أم في عالم الاستدراج.

فقد حدثني المعلق (فضيلة الشيخ) احمد المختار. في مدينة (كيفا) بحضرة أشخاص مازالوا على قيد الحياة أنه كان في داره بمكة المكرمة جهاز لتوزيع الماء داخل حنفيات المنزل، فأصيب بعطب أدى الى توقف الماء عن الدار قال : فذهبت وأحضرت شخصا لاصلاحه، فأخبرني بأن اصلاحه مستحيل وبأنه لم يعد صالحا للاستعمال، قال الشيخ أحمد تذكرت أن ماء زمزم لما شرب له، فذهبت الى الحرم وأخذت ملء قنينة من ماء زمزم وصببته على موضع الخلل قال : فما إن انتهيت من صب الماء إلاّ وقد عاد الجهاز لضخ الماء كأن لم يصبه خلل من قبل. =

= تُرى هل هذه كرامة أم استدراج، إنه أمر عجيب، وأنا أعدها من كراماته حسب قوله.

مبحث : وفي الجزء الثاني من كتاب تحفة الألباب / ص / ١٤٤ / اعترض المعلق على مايقع من كشف للأولياء، وانكر علمهم لمافي القلوب من الخواطر وقال : إن ذلك ليس من علم الغيب في شيء بل هو من وحي الشيطان.

وللرد على ماذكره المعلق نقول وبالله التوفيق : الكشف هو الفراسة وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

وقد عرف العلماء الفراسة : بأنها مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب انظر التعريفات للجرجاني.

وتكون هذه الفراسة على حسب قوة القرب والمعرفة، فكلما قوى القرب وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة، لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لايتجلى فيها غالبا إلا الحق، وبعض المؤمنين الصادقين ينظرون بنور الله فتمحي أمامهم مقايس الزمان والمكان فيطلعون على عوالم من أمر الله إطلاعا لا يستطيعه من لايزال في قيد الشهوات والشكوك والبدع العقائدية والوساوس الشيطانية، ولا تتسع له الا تلك القلوبُ النيرةُ السليمة التي زالت عنها ظلماتُ الدنيا وغواشيها، وانقشعت عنها غيوم الشكوك ووساوسها، وكثافة الماديات وأوضارها.

فالذي أصفى لله الاخلاص والود فالله سيعطيه خصوصيات وهذه الخصوصيات لابد أن تكون خارقةً للقانون العادي والنظام العام.

وفي الحديث الصحيح القدسي (ماتقرب الي عبدي بمثل مافترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها) قال الامام الشوكاني عند هذا الحديث مانصه : كنت سمعه بنوري الذي اقذف فيه فيسمع سماعا لاكما يسمعه امثاله من بني آدم، وكذلك بقية الجوارح. =

= فمن امده الله سبحانه بنوره في جميع بدنه صار لاحقا بالعالم العلوي ومن امد عضوا منه بنوره صار نورانياً.

فان كان من الحواس كان لها من الادراك مالم يكن لغيرها من الحواس التي لم تمد بنور الله عز وجل. وإن كان الامداد لعضو من الأعضاء غير الحواس صار ذلك العضو قويا في عمله الذي يعمل به مستنيرا اذا عمل به الانسان كان عمله صالحا موافقا لما هو الصواب.

فاتضح لك بهذا معنى ما في هذا الحديث القدسي أي : كنت بما القيت على سمعه وبصره ويده ورجله من نوري، سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. ثم أوضح هذا المعنى بقوله : (فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي) انتهى من قطر الولي / ص / 417 / للشوكاني.

واعلم أيها المعلق أن من غض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بمراقبة الله تعالى، وتعود اكل الحلال لم تخطىء فراسته، ومن اطلق نظره الى المحرمات تنفست نفسه الظلمانية في مرآة قلبه فطمست نورها.

والفراسة أمر جائز الوقوع، وهي عطية إلاهية يتفضل الله بها على أوليائه الذين امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وحفظوا جوارحهم من اقتراف المنكرات، وصقلوا قلوبهم من رين المهلكات.

ولو اردنا أن نستقصيَ ماحُكيَ من فراسة المشايخ وأخبارهم عن خواطر قلوب الناس وضمائرهم لحتجنا إلى مجلدات ولكن نقتصر على ماذكره العلامة ابن القيم الجوزية عن شيخه تقي الدين ابن تيمية، حيث قال مالفظه :

ولقد شاهدت من فراسة شيخ الاسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أمورا عجيبة، وما لم اشاهده منها اعظم واعظم، ووقائع فراسته تستدعى سفرا ضخما.

اخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة وأنَّ جيوش المسلمين تكسر، وأنَّ دمشق لايكون بها قتل عام ولا سبي عام، وإن كَلَب الجيش وحدته في الأموال : وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة. =

= ثم اخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام : ان الدائرة والهزمية عليهم، وان الظفر والنصر للمسلمين، واقسم على ذلك اكثر من سبعين يمينا، فيقال له : قل ان شاء الله، فيقول : ان شاء الله تحقيقا لاتعليقا، وسمعته يقول ذلك قال : فلما اكثروا عليّ قلتُ : لاتكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ : انهم مهزومون في هذه الكرة، وان النصر لجيوش الاسلام... ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك اخبروه بذلك، وقالوا : الآن بلغ مراده منك، فسجد لله شكرا وأطال فقيل له : ماسبب هذه السجدة؟ فقال : هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن، وقرب زوال أمره فقيل : متى هذا؟ فقال : لاتربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته، فوقع الأمر مثل ماأخبر به. سمعت ذلك منه... واخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني.

واخبرني ببعض حوادث كبار تجرى في المستقبل، ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا انتظر بقيتها. انتهى من مدارج السالكين / ج / 2 / ص / 510 وفي الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية / ص / 88 / مانصه :

(واما كرامته وفراسته فقال : الشيخ الحافظ أبو حفص عمر جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها وجعلنا الشيخ (يعني ابن تيمية) المرجع، فلما حضر هممنا لسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه، ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها مارجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا فبقينا ومن حضر مبهوتين متعجبين.

قال : وحدثني الشيخ الصالح المقرىء أحمد قال : لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النفقة البتة، وأنا لا أعرف أحدا من أهلها فجعلت امشي في زقاق كالحائر، واذا بالشيخ أقبل نحوي مسرعا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم، وقال لي انفق هذه الآن وخلي خاطرك مما أنت فيه فان الله لايضيعك، ثم انصرف فسالت من هذاو فقيل : ابن تيمية، وله مدة ماأجتاز بهذا الدرب.

وفي صفحة تسعين من الكواكب الدرية : لما نزل المغل بالشام لاخذ دمشق، رجف اهلها وجاء الى ابن تيمية جماعة منهم، وسألوه الدعاء للمسلمين. فتوجه الى =

= الله ثم قال : ابشروا فان الله ياتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة ترون الرؤوس معباة بعضها فوق بعض.

قال الذي حدث : فوالذي نفسي بيده مامضى الا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤوسهم ــ كما قال الشيخ ــ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض.

وكان ابن تيمية يعود المرضى بالبمارستان بدمشق في كل قليل ايام، فجاء يوما لشاب فدعا له فشفي شريعا، وقال : له عاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك، أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم ههنا.

قال الشاب فقبلت يده، وقلت : ياسيدي إني تائب الى الله، وعجبت مما كاشفني به، وكنت قد تركتهن بلا نفقة ولم يكن عرف بحالي احد من أهل دمشق.

وفيه أيضا أن بعض القضاة توجه الى مصر ليقلد القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها اذا وصل، فلما بلغ ذلك الشيخ (ابن تيمية) قال : إن الله لايمكنه مما قصد. ولا يصل الى مصر حيا. فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت. انتهى من الكواكب الدرية للامام مرعي الحنبلي.

وفي اعتقادي أن حضرة المعلق يصدق مثل ما اصدق انا ابن القيم ومرعي الحنبلي في كل ماأخبرا به عن ابن تيمية من فراسة وكشف وأنه ليس من وحي الشيطان وانما هو من الغيب الذي يطلع الله عليه بعض عباده، فإن كان الامر كذلك فاعلم أن انكار الكشف وعلم الخواطر انكار في غير محله بعيد عن جادة الصواب.

واعلم ان العلماء ذكروا ان حواجز الغيب اربعة : حاجز الزمن الماضي وحاجز الزمن المستقبل، وحاجز المكان، وحاجز النفس البشرية.

وقد خرق الله لابن تيمية حاجز الزمن المستقبل، وحاجز النفس البشرية.

مبحث : ولا بأس بتقديم كلمة توضح معنى هذه الحواجز، ونلخص ماذكره محمد متولى الشعراوي في معرض كلامه عن الغيب حيث قال : فحاجز الزمن الماضي : هو شيء حجبه عني زمن مضى فأنا لم اشهده، وحاجز المستقبل : هو ماسيحدث غدا وهو محجوب عني فلم اشهده. وحاجز المكان وهو شيء يحدث في مكان بعيد=

....

=وأنا موجود في مكان آخر فانا لم اشهده. وحاجز النفس البشرية : هو شيء يخفيه الانسان داخل نفسه.

وقد أخبرنا القرآن بما حدث للأمم السابقة وروى لنا قصص الرسل السابقين من خلال آيات كثيرة وهكذا مزق الله حجاب الزمن الماضي. واخبرنا القرآن عما سيحدث في الزمن المستقبل قال تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فقد مزق الله حجاب المستقبل. وأما حاجز المكان : فقصة عمر بن الخطاب مع سارية امير الجيش وهي قصة معروفة، فقد خرق الله حجاب المكان لعمر.

واما حاجز النفس البشرية فقوله تعالى : (ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله) فقد خرق الله حاجز نفوسهم واطلع النبي ﷺ على مافي أنفسهم بما لم تهمس به شفاههم. انتهى بتصرف قليل.

واعلم أنه لامانع ان يطلع الله بعض أوليائه على شيء من غيبه ويعطي أشياء خارقة للعادة لبعض خواص خلقه فلا تحجير على قدرة الله (فعال لما يريد) وقال تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي أن علم الله سبحانه وتعالى ولايمكن أن يحيط به احد الا مايعطيه الله لمن يشاء يقول الاستاذ الشعراوي : والعلم الذي يعطيه الله لمن يشاء من عباده لايمكن التحدث فيه لأنه عطاء محدود بالعبد ذاته ومختص به.. أما العلم الذي يعطيه الله للبشرية كلها هو العلم المادي الذي يكشف الله عنه للبشر جيلا بعد جيل..

مبحث : قال الامام الشوكاني في كتابه قطر الولي : وأي مانع من أن يمد الله سبحانه عبده من نوره فيصير صافيا من كدورات الحيوانية الانسانية لاحقا بالعالم العلوي سامعا بنور الله مبصرا بنور الله باطشا بنور الله ماشيا بنور الله. وما في هذا من منع او من أمر لايجوز على الرب سبحانه وقد سأله رسوله ﷺ وطلبه من ربه.

ووصف الله عباده بقوله : (نورهم يسعى بين أيديهم ـــ الآية) وليس في هذا ما يخالف موارد الشريعة، ولا ماينافي ادراك عقول المتشرعين العارفين بالكتاب والسنة.

قول الشوكاني (وقد سأله رسوله ﷺ وطلبه من ربه) يشير إلى ماثبت في الصحيحين من دعائه ﷺ اذا خرج إلى الصلاة (اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري =

=نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وخلفي نورا وفي عصبي نورا وفي لحمي نورا وفي دمي نورا وفي شعري نورا وفي بشرى نورا. وقد اورد الشوكاني هذا الحديث قبل كلامه الأنف الذكر / ص / 415 قطر الولي.

وقال الشوكاني : ولا حرج على قائل أن يقول : أن من بلغ إلى رتبة المحبة، وكان الله سمعه وبصره أن يجاب له كل دعاء ويُحتصّل بغيته على حسب ارادته. وأي مانع يمنع من هذا؟ بل كل مايظن أنه مانع ليس بمانع شرعي ولا عقلي.. فما ابعد ماجاء به المشككون في هذا الأمر الذي لايقبل التشكيك لاشرعا ولا عقلا بل ولاعادة. فإن من اطلع على أحوال أولياء الله سبحانه وعرف ما ذكره المؤرخون في أخبارهم، وما اشتملت عليه تراجمهم وجد كل ماتوجهوا به إلى ربهم حاصلا لهم في كل مطلب من المطالب كائنا ماكان. والمحروم من حرم ذلك..

اولائك قوم لما دعوا أجيبوا ولما أحبوا أحبوا، ولما أخلصوا صدقت منهم الضمائر، فصفت منهم السرائر، وصاروا صفوة الله في أرضه ففاضت عليهم انواره، وامتلأت قلوبهم من معارفه.

(الا إن وادي الجزع اضحى ترابه من المسك كافورا واعواده رندا)
(وماذاك الا أن هنداً عشيةً تمشت وجرت في جوانبه بردا)

فلا تجهد نفسك في كشف حقائقهم، وذوق دقائقهم حتى تتصل منهم بسبب وتتمسك من هديهم بطرف فلسان حالهم ينشدك :

(وكم سائل عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغير يقين)
(يقولون : خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بامين)

فهم القوم الذين لايشقى جليسهم، ولا يستوحش انيسهم. قد نالوا مطالبهم برفع اكفهم إلى خالقهم، لايحتاجون في حوائجهم إلا اليه ولا يعولون إلا عليه. انتهى من قطر الولي / ص / 465

مبحث : ننتقل الى حلقة أخرى من سلسلة اعتراضات وانتقادات صاحب التعليق لبعض العلماء العارفين، وستكون محطتنا هذه المرة في رحاب كتاب نعت البدايات.

فقد ذكر المعلق : احمد بن احمد المختار في تعليقه الذي بهامش كتاب تحفة =

....

=الالباب المعروف بشرح حماد على عمود النسب الجزء الأول / ص / 354 مانصه :

واما لو شرعنا في تفصيل آداب السلوك عندهم لوجدنا الخطأ البواح الذي لايستطيع مكابر دفعه، من ذلك ماذكره الشيخ ماء العينين في كتابه : (نعت البدايات) في الكلام على آداب المريد حول الصفحة الخامسة : ان المريد لاينبغي له أن ينكر على شيخه بقلبه ولو يراه مخالفا لظاهر الشرع لئلا يحبط عمله أو كلمة نحوها، وهذا مخالف لماجاء في الحديث الصحيح : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان. هكذا ذكر المعلق.

وتوضيحا للحق وذبا عن جناب العلماء المقتفين لسنة النبي ﷺ فاننا ننبه القارىء الكريم الى أن المعلق سامحه الله لم يراع أمانة النقل فيما نقله في تعليقه ونسبه إلى الشيخ ماء العينين في نعت البدايات. بل زاد فيه المعلق عبارة لم يذكرها الشيخ ماء الغينين كما سياتي توضيح ذلك، وقبل الرد على ماذكره المعلق أود أن أقول : إنه كان من دأب العلماء الذين حباهم الله برحابة الصدر ورجاحة الحلم وسجاحة الخلق ونبالة القصد، ومن دأب الكتاب والباحثين وكذلك من يتشبه بهم ويتزيا بزيهم : التثبت وإمعان النظر والامانة العلمية فيما ينقلونه من الكتب، لا يرمون الكلام على عواهنه، كما أن التسرع وعدم التدبر وتحريف الكلم عن مواضعه هو دأب المتطفلين على موائد العلماء الذين لم يطأوا عتبة العلم ولم يحوموا حول ادنى شاطىء له، المعروفين بقصر الأناة وتوتر الأعصاب وانهيار الأحلام.

وللأمانة العلمية فإننا نعود إلى الصفحة السادسة من كتاب نعت البدايات) الطبعة الجمالية سنة 1331 هـ لنقرأ النص الكامل الذي ذكره الشيخ ماء العينين، ونتأمل العبارات التي حذفها المعلق.

قال الشيخ ماء العينين : فيجب على المريد ان يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع عنده لأنه قد لايكون كذلك اعتبارا بقضية الخضر وموسى على نبينا وعليهما السلام. انتهى

لقد بتر المعلق جملة مهمة هي ثمرة كلام الشيخ ماء العينين ويتوقف عليها معرفة مراده وبدونها يكون الكلام موهماً غير مستقيم كمن قال : فويل للمصلين ولم يكمل =

....

= الآية وهذه الجملة التي حذفها المعلق هي (عنده لأنه قد لايكون كذلك اعتبارا بقضية الخضر وموسى) ولم يكتف المعلق بهذا بل افترى عبارة لم يقلها الشيخ ماء العينين رحمه الله والعبارة هي (لئلا يحبط عمله) واوكد للمعلق ان هذه الكلمة غير موجودة في النص الذي زعم أنه في نعت البدايات، وقد فتشت في جميع النسخ المطبوعة والمخطوطة من هذا الكتاب فلم اعثر على هذه العبارة.

ولايخفى على المعلق أن هذا الكتاب قد طبع منذ زمن طويل ومازال يباع في كثير من المكتبات الى الآن.

وانبه القارىء الكريم الى أن مراد الشيخ ماء العينين بما ذكر في كتابه نعت البدايات هو أن المريد ربما يرى شيخه يفعل أمورا قد تكون عند المريد مخالفة لظاهر الشرع في نظره فينكرها، وهي في نفس الأمر موافقة للشريعة وقد يكون إنكار المريد راجعاً الى قصور علمه عن دليل الشيخ، وهذا ماوضحه الشيخ ماء العينين في الصفحة الثامنة من نعت البدايات حيث قال : وكلما اشكل عليه شيء من حال الشيخ وامره ذكر قصة موسى مع الخضر على نبينا وعليهما السلام ولذلك اذا رأى من الشيخ مايرى أنه غير مشروع عنده فليتهم نفسه وليحمله على قصور علمه ونظره اذ قد يكون للشيخ فيه دليل وبرهان قصر فهمه عن ادراكه.

ومراده رحمه الله من أن يكون المريد كالميت بين يدي غاسله، هو الاستسلام لشيخه وطاعته في جميع أوامره ونصائحه، وليس هذا من باب الانقياد الاعمى الذي يهمل فيه المرء عقله ويتخلى عن شخصيته ولكنه من باب التسليم لذى الاختصاص والخبرة مثل استسلام المريض لطبيبه في جميع معالجاته وتوصياته.

واذا أورد الشيطان على قلب المريد إشكالا شرعيا حول تصرف من تصرفات شيخه بغية قطع الصلة ونزع الثقة فما على المريد إلا أن يحسن الظن بشيخه ويلتمس له تأويلا شرعيا ومخرجا فقهيا.

ونضرب مثالا يقرب هذه المسألة من ذهن القارىء : نفترض ان المريد شافعي المذهب ومعرفته بالمذهب الشافعي محدودة فضلا عن غيره، وشيخه عالم واسع المعرفة بالشريعة قد درس المذاهب كلها، فحدث أن رأى المريد الشيخ يصلي على سجادة =

= قد اصابها بول الانعام، فانكر المريد ذلك واعتبر صلاة شيخه باطلة لأنه يرى نجاسة بول مباح الأكل حسب رأى الشافعية في ذلك، بينما صلاة شيخه صحيحة وعمله غير خارج عن اطار الشريعة، لأنه قد يكون استند الى دليل لايعلمه المريد وقد يكون مالكي المذهب، ومعروف ان المالكية ترى طهارة بول الانعام.

ومراده رحمه الله بقضية الخضر وموسى هو أن الخضر عبد صالح كان يقوم بعمل خير حقيقته مستورة ظاهره شر محض، وموسى كان يرى في هذه الأعمال ماهو ظاهر فقط ويحكم به لأنه لايعلم باطن الأمور وفرق كبير بين الظاهر والحقيقة.

وأما قول المعلق : وهذا مخالف لما جاء في الحديث الصحيح من رأى منكم منكرا الخ

ترى هل السيد المعلق انتبه الى ان تحريف الكلم والكذب على الغير داخل في اطار المنكر دخولا أوّلياً، وقد عرف العلماء الكذب : بأنه عدم مطابقة الخبر للواقع، وفي الآداب الكبرى : انه الأخبار عن الشيء على خلاف ماهو عليه ولا يشترط فيه التعمد.

حضرة المعلق الا يخجلك عملك هذا الذي تضمن التحريف والكذب على اناس انتقلوا الى جوار الله تعالى، وهلا دار بخلدك ان القاء الكلام على عواهنه قد ينزل بك الى مستوى ينزع ثقة القارىء من كل ماكتبت وحشوت به تلك المجلدات الانيقة والتي تدعي أحيانا أنها من إنتاجك.

قال العالم الأديب مصطفى صادق الرافعي : ان بتر النصوص وتحريفها وزيادتها طريقة معروفة للطاعنين في الاسلام وعلومه. وكانت هي طريقة ابن الراوندي الزنديق، وهي طريقة كل من اصيب بمرض القلب ورداءة التفكير.

وبعد هذا الرد وما تضمنه من ايضاح لبعض الحقائق التي لالبس فيها أود أن الفت انتباه القارىء الى ان صاحب التعليق : أحمد المختار لم يراع الأمانة العليمة في عدة مواضع من تحقيقه على كتاب تحفة الألباب المعروف بشرح حماد بن الأمين وذلك أنه نسب إليه جملة من الأغلاط والزيادات هومنها براء ورماه أيضا بعدم التحقيق والتناقض ويتضح هذا لمن قابل بين النسخة التي قام المعلق بتحقيقها وطبعها وبين=

....

=نسخة المؤلف المخطوطة، فقد يدرك المتأمل في نص المطبوعة بعض الزيادات والحذف والتحريف لايوجد في نص كتاب الؤلف الذي تجد منه نسخة مصححة بحوزة حفيد المؤلف السيد : محمد عبد الله بن محمد سديا الذي مازال على قيد الحياة(+) وهو الآن مقيم بالمدينة المنورة وتوجد منها صورة عند سبط أحمد البدوي الاستاذ محمد يحيى ابن سيد حمد وهو باحث بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي له معرفة واسعة بالسيرة النبوية وأنساب العرب.

وتوجد نسختان من نسخة الؤلف في المعهد الموريتاني للبحث العلمي. وقد رأيت النسخة التي بحوزة الأستاذ محمد يحيى وطالعتها فإذا هي تختلف عن النسخة التي حقق أحمد المختار وبينهما بون شاسع، وذلك ان نسخة الؤلف المخطوطة منقحة سالمة من التحريف والتناقض خالية من الأخطاء الاملائية والنحوية ومن الأغلاط.

وكان الأجدر بالمعلق أن لايقدم على تحقيق هذا الكتاب ونشره حتى يحصل على عدة نسخ منه كماهو المتعارف عليه عند المحققين، وأقل هذا العدد ثلاث نسخ كحد أدنى للنصاب الذي لابد للمحقق منه، وقد اعترف احمد المختار في مقدمة تعليقه أنه اعتمد على نسختين فقط احداهما بالية لم يستطع قراءتها إلا بمكبر للحروف.

مع العلم أن شرح حماد هذا توجد منه اعداد كثيرة في القطر الموريتاني حتى أنه لايكاد يخلو منه بيت من بيوت العلم الشهيرة او تخلو منه مكتبة من المكتبات الخاصة، خلافا لما ذكره المعلق في مقدمة تعليقه (من انه عزيز الوجود في بلاد موريتانيا) والمصيبة الدهياء هي تسرع المعلق الى طبع هذه النسخة التي ينقصها التنقيح ونشرها بين الناس.

وأدهى من ذلك أنَّ المعلق اعتمد نصوصا مشحونة بالاغلاط والزيادة والحذف في النسخة التي قام بتحقيقها ونسبها لحماد رحمه الله، ثم تراه يرد عليه مصححا لتلك الاغلاط والزيادة، والواقع أن مارد به المعلق هو الذي ذكره الشارح في نسخته المشار إليها آنفا. =

(+) فبراير 1989م

= وهذه بعض الأمثلة توضح ماذكرنا، ومن خلالها سيدرك القارىء عدم التزام المعلق الأمانة العلمية في تعليقه.

المثال الأول : ورد في نسخة احمد المختار المطبوعة الجزء الأول صفحة 308 مانصه :

... وسبوا بنتها فأتوا بها النبي ﷺ فاهداها لخاله والد المسيب حزن، وخئولته للنبي ﷺ، أنه ابن خال أبيه فهو ابن وهب بن عمرو بن عائذ وعبد الله بن فاطمة بنت محمد بن عائذ. انتهى محل الاستشهاد.

قال المعلق في الهامش مالفظه : قوله هنا فاطمة بنت محمد بن عائذ خلاف ماقدمه عند قول الناظم :

(فبنت عمرو بن عائذ الكرام فاطمة لآل مخزوم الهمام)

إلى أن قال : وعليه فمن أين له أنها بنت محمد بن عائذ ياثرى. انتهى كلام المعلق. والحقيقة أن ماورد في نسخة المعلق يختلف عن النص الوارد في نسخة حماد رحمه الله ونسوق الى القارىء ماورد في نسخة حماد الخطية ليتأمل الفرق الواضح بين النصين وليطلع على ما في نسخة المعلق من التحريف والحذف والزيادة.

جاء في نسخة المؤلف صفحة 172 مانصه : .. وسبوا بنتها فأتوا بها النبي ﷺ فأهداها لخاله حزن بن ابي وهب فأولدها عبد الرحمان بن حزن، وحزن : جد سعيد بن المسيب بن حزن، وخئولته للنبي ﷺ انه ابن خال أبيه فهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ. انتهى كلام حماد لم يذكر حماد لفظة (محمد) وانما ذكر لفظة عمرو كماهو مسطور في نسخته والعجيب في الأمر أن المعلق أورد لفظة محمد وجعل يرد على الشارح ويخطئه فيما لم يصدر عنه ولله در القائل :

يقولني مالا أقول لكي يرى جوابا على طبق المراد مصورا

ومن تأمل صياغة النص الوارد في نسخة حماد وسبك عباراته ادرك بجلاء انه يختلف عن النص الوارد في نسخة صاحب التعليق، وذلك ان ماورد في نص نسخة =

....

=المعلق مرتبك السياق ملتاث العبارة كما لايخفى.

وللأمانة فإننا نصحح رواية بيت الناظم الذي أورد المعلق آنفا، فرواية البيت حسبما ذكر الشارح في نسخته الخطية هي :

(فبنت عمرو بن عائذ الهمام فاطمة لآل مخزوم الكرام)

المثال الثاني : جاء في نسخة المعلق الجزء الأول صفحة 79 مانصه :.. وبنو عامر بن لؤى قبيلة سهيل بن عمرو وعبد الله بن ام مكتوم. انتهى محل الاستشهاد قال المعلق في الهامش مانصه : عبد الله بن أم مكتوم ليس من بني عامر بن لؤى وإنماهو من معيص أخوال أمنا خديجة رضي الله عنها. انتهى كلام المعلق قلت : هذا تسرع من المعلق وعدم تثبت لأن معيص الذي ينسب إليه عبد الله بن أم مكتوم هو بن عامر بن لؤى، وإليه أشار البدوى في النظم عندما تعرض لنسب معيص بن عامر بن لؤى حيث قال :

(لعامر ايضا معيص الأعمى خال خديجة إليهم ينمى)

ونفي المعلق لما ذكره الشارح من أن عبد الله بن أم مكتوم هو من بني عامر بن لؤى نفي في غير محله بعيد عن الصواب ولا يصدر إلا عمن لم يسبق له علم بأنساب العرب جاهلا بها رواية ودراية.

حضرة المعلق كانت العرب تحذر من اعتناف الأمور، ويقولون : فلان يعتنف الأمور اذا أتاها بغير علم.

المثال الثالث : ورد في نسخة المعلق الجزء الثاني صفحة 29 عند قول الناظم :

(والقتل للآباء والأولاد وبذل الأنفس على الجهاد)

مانصه :.. وكل الصحابة تمنعه الأبوة والبنوة من قتل أبيه وابنه كافرين. انتهى محل الاستشهاد

فرد المعلق في الهامش بما نصه : يرد عليه ماورد من أن أبا عبيدة بن الجراح قتل والده عبد الله بن الجراح كافرا يوم بدر. انتهى كلام المعلق =

= والحقيقة ان الذي ورد في نسخة حماد الخطية صفحة 261 مانصه :.. وكل الصحابة لاتمنعه الأبوة ولا البنوة من قتل أبيه او ابنه الكافرين. انتهى

ومن تأمل فيما فعله المعلق يجده حذف حرف (لا) وجعل يرد على الشارح حاذفا من كلامه ماهو منه بينما الشارح لم يذكر الا الصواب، ومن امعن النظر في بيت الناظم ادرك بوضوح ان سياقه يقتضي ان الصحابة لاتمنعهم الابوة ولا البنوة من قتل أبيه أو ابنه كافرين. فالناظم قال :

(والقتـــــل للأبـــــاء والأولاد   وبـــذل الأنــفس على الجهـــاد)

المثال الرابع : ورد في نسخة المعلق الجزء الثاني صفحة 85 في معرض كلامه عن سهيل بن عمرو.. مانصه : لكنه لم يهاجر إلا بعد الفتح وقد قال عليه الصلاة والسلام : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) وهو أحد الثلاثة الذين قالوا : ان فاتنا اخواننا بسابقة الاسلام والهجرة، فلنبذل انفسنا واهلنا في الجهاد عسى أن نلحق بهم، فخرجوا بأهليهم إلى الشام فاستشهدوا ثلاثتهم يوم اليرموك وهم : الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وقيل جاء آت بشراب الى أحدهم..)

قال المعلق في الهامش مالفظه : قلت : عد ابي سفيان بن حرب رضي الله عنه ممن ماتوا يو م اليرموك غلط فاحش. انتهى كلام المعلق

قلت : من طالع نسخة الشارح لم يجد فيها لفظة (ابي سفيان بن حرب) التي نسبها المعلق للشارح وبالغ في تغليطه، وانما ورد فيها لفظة (عكرمة بن أبي جهل) وإليك ماورد في نسخة الشارح المخطوطة صفحة 298 (... خرج نحو الشام مهاجرا بأهله وماله هو أي (سهيل بن عمرو) والحارث بن هشام وعكرة بن أبي جهل لما سمعوا من النبي ﷺ «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» قالوا : ان فاتنا اخواننا بسابقة الاسلام والهجرة، فلنبذل انفسنا وأهلنا في الجهاد عسى أن نلحق بهم فخرجوا بأهليهم إلى الشام فاستشهدوا يوم اليرموك ثلاثتهم قيل جاء آت بشراب..) =

= ولايعزب عن فطنة المعلق أن الصواب قريب منه لو تثبت وتقصى في التفتيش وامعن في التنقيب عن عدة نسخ مصححة من هذا الكتاب لما وقع في ورطة التسرع ولما حشا تعليقه بتغليط الشارح فيما لم يغلط فيه ولم يذكره.

ومن قرأ النص الوارد في نسخة المعلق يرى فيه زيادة ليست من كلام حماد رحمه الله وهذه الزيادة هي : (وهم الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو) مع أن كل النسخ المصححة من شرح حماد لاتوجد فيها هذه الزيادة بالصيغة التي اورد المعلق في نسخته.

وإنما ورد في تلك النسخ الصيغة الآتية : (فاستشهدوا يوم اليرموك ثلاثتهم قيل جاء آت بشراب..)

ولنا أن نتساءل لماذا يحمل المعلق الشارح مسؤولية الأغلاط مع أنه قال في مقدمة تعليقه : (إن الكتاب تناولته يد النساخ فاذهبوا رونقه لما أودعوه من الأغلاط) وماكان له أن ينسب الأغلاط للشارح إلا إذا كانت تلك الأغلاط في جميع نسخ الكتاب لكنه التسرع الذي جعله هجيراه.

المثال الخامس : جاء في نسخة المعلق الجزء الثاني صفحة 215 مانصه :... قال عمر حين سألوه أن يوصي بالخلافة : لله دركم إن وليتموها الاصيع ــ اي الخلافة ــ ولكن اجعلوها شورى بين ستة، علي وعثمان وطلحة الزبير وعبد الرحمان بن عوف وأبي عبيدة وليكن معهم عبد الله بن عمر لكنه ليس من أهلها. هكذا ورد في نسخة المعلق المطبوعة فرد المعلق في الهامش بما لفظه : قوله رحمه الله : وأبي عبيدة سهو منه عليه رحمة الله لأن الشورى كانت في علي وعثمان والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمان بن عوف وطلحة بن عبيد الله، ولم يكن أبو عبيدة بن الجراح على قيد الحياة يوم قتل عمر، انتهى كلام المعلق

والحقيقة ان حماد لم يذكر أصحاب الشورى، وإنما ورد في نسخته الخطية صفحة 380 مانصه :.. والاصيلغ من أسماء علي، سماه به النبي ﷺ وهو تصغير للتعظيم والتودد لأنه كان أصلع، قال عمر : ان وليتموها الاصيلع الأجلح فإنه يسلك الطريق المستقيم. انتهى كلام الشارح =

....

= تأمل الفرق بين النصين، ولا أدري من أين أتى صاحب التعليق بهذه الزيادة عن أصحاب الشورى.

المثال السادس : ورد في نسخة المعلق الجزء الثاني صفحة 320 مانصه.. وهي أيضا أم اخويه عامر المهاجر إلى الحبشة ومحمد الذي غزا بدرا. انتهى محل الغرض فرد المعلق في الهامش بما نصه : الذي استشهد ببدر من بني وقاص هو عمير بن أبي وقاص إلى أن قال : وليس في شهداء بدر من اسمه محمد البتة. انتهى كلام المعلق.

قلت : الذي ذكره حماد هو عمير ولا أدري من أين أتى المعلق بلفظة محمد، فقد ورد في نسخة حماد الخطية صفحة 435 مانصه :.. وهي أيضا أم اخويه عامر المهاجر الى الحبشة وعمير الذي غزا بدرا. هكذا ذكر الشارح، وذكره البدوي في نظمه للغزوات فيمن استشهد يوم بدر حيث قال :

(ثم عـمير بـن أبي وقـاص وابـنُ البـكير عاقـل الشاصى)

ولايخامرني ادنى شك أن حمادا رحمه الله يحفظ نظم عمه للغزوات قبل بلوغه الحلم. حضرة المعلق ليس بعيدا أن ينطبق عليك مايحكى عن كيسان مستملى أبي عبيدة كان يكتب غير مايسمع ويقرأ غير مايكتب ويفهم غير مايقرأ.

تنبيه في تكملة تحفة الألباب التي ذكر احمد المختار أنه ألفها تتميما لشرح ماتبقى من نظم البدوي، وبعض الناس يقول : ان جل مافيها مأخوذ من تكملة العلامة أحمد محمود ابن ايداده الحسنى الأقداشي، والله اعلم بالحقيقة.

في هذه التكملة نسب المعلق الغلط للبدوي عندما تعرض لنسب طلحة بن البراء بقوله :

(وطلحـة دعـا لـه ان يضحكـا إليـه رب العـرش حين هلكـا)

وقال : في صفحة 165 وهذا غلط كبير من الناظم رحمه الله، لأن المذكور لم يكن من الخزرج بتاتا، ولكنه من حلفاء بني عمرو بن عوف، ونقل المعلق ماذكره ابن الأثير في نسب طلحة، وقال في نهاية كلامه عنه : وكونه من بيلي من حلفاء بين عمرو بن عوف ذكره أيضا ابن عبد البر وابن حجر. انتهى كلامه =

....

= قلت : الذي في الاستيعاب لابن عبد البر هو أن طلحة من بني عمرو بن عوف وقال في نسبه : طلحة بن البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غنم بن سرى بن سلمة بن انيف الأنصاري من بني عمرو بن عوف، هكذا ذكر ابن عبد البر ولم يذكر لفظة حليف ولم يذكر أنه من بلي، وعلى هذا يكون طلحة من الخزرج حسبما ذكر ابن عبد البر. خلافا لما جزم به المعلق من أن طلحة ليس من الخزرج

ورأيت في القاموس المحيط للفيروز ابادى مانصه : وغنم بن سُرَيٍّ كُسَمي في الخزرج ومن ذريته طلحة بن البراء الصحابي. انتهى من الجزء الرابع ص 324 واذا كان الناظم يذكر في نسب بعض الصحابة أحيانا مايخالف ماذكره ابن الأثير في اسد الغابة، وابن حجر في الاصابة وابن عبد البر في الاستيعاب. فإن ذلك لايجعله غالطا مخطئا لأن كتب السير والتراجم اكثر من هذه الكتب الثلاثة التي ذكرنا، وربما يكون الناظم رحمه الله اعتمد على مراجع في السيرة والتاريخ لم يطلع عليها المعلق ولم يسمع بها.

وحَرِيٌّ بنا أنْ ننبه المعلق إلى ماقاله الناظم في مقدمة نظمه حيث قال :

(ومن رآ خلاف ماذكرته فليتئد لعل ما أبصرته)
(في غير ما طالعه اذ الطرق لاسيما في الفن ذا قد تفترق)
(ومن يكن مستوعبا مثلي ذكر مشتهراً منها وغير ما اشتهر)
(وربما أنكر ضيق العطن والباع والبحث عليَّ فطعن)
(ولست إلا من مشاهير الكتب آخذ فليزكها أو ليسب)

فقد قال البدوي في هذه الأبيات : انه ينبغي لمن طالع كتابه ان يتثبت ولايتسرع في مخالفته وتكذيبه فلعله قد نقل عن كتاب غير الكتاب الذي اطلع عليه وقال رحمه الله ربما طالع كتابه هذا قليل العلم طفيلي على فن السيرة لم يطالع كتبها، فيطعن فيه ويغلطه مع أنه لم يأخذ الا من مشاهير الكتب.

ولاشك أن البدوي رحمه الله بصير بفن السيرة، خبير بعلم التاريخ، وفي المثل : العوانُ لا تعلم الخمرة.

=

= **مبحث** : تحامل أحمد المختار على الناظم رحمه الله ورماه بالتحكم على الله تعالى عندما ذكر بني الحكم بقوله :

(نالـــوا بخدع زهـــرة الحيـــاة ومـــالهم خردلـــة في الآتي)

وقال : إني أرى أن هذا تحكم على الله تعالى، وسد لباب رحمة الله تعالى الواسعة، ثم استغفر لبني الحكم، وكان المعلق قد قال قبل ذلك عن يزيد عند قول الناظم :

(أخـاف طيبـة وفـوق مـنبرى نبينـا رعـف وهـو مجتـرى)

لاشك أن يزيد بن معاوية ومن عمل تحت حكمه خالفوا في الرعية، وأخذ عليهم في بعض اعمالهم الكثير، ولكن ذلك لايخرجهم عن الملة حتى تستباح اعراضهم اطلاقا، ويستحل لعنهم كما تفعله الشيعة والضالعون في ركابها..) انتهى كلام المعلق وللحق والانصاف فإن احمد البدوي رحمه الله لم يكن بدعا فيما قاله عن بني الحكم ولا عن يزيد ولا عن غيره من اغيلمة بني امية، فإن العلماء من السلف ومن الخلف قالوا في الحكم وبنيه وفي يزيد اشنع مما قاله البدوي.

فهذه أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها تقول : لمروان في قصة مشهورة اشهد ان رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه. اخرجه ابن حجر في الاصابة عند ذكر الحكم، وابن الأثير في اسد الغابة.

وفي تاريخ ابن كثير الجزء الثامن عند ذكر مروان قال الحسن رضي الله عنه لمروان : لقد لعن الله اباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال : لعن الله الحكم وماولد. ومعروف ان اللعن : هو الطرد والأبعاد من رحمة الله وقول الناظم : نالوا بخدع زهرة الحياة..) يشير الى الحديث الذي رواه الطبراني وابو يعلى : اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دَخلاً وعباد الله خولا، ومال الله دولا.

والدخل : هو الخديعة والغش، ومنه حديث أبي هريرة الذي اخرجه ابن الأثير في النهاية : (اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين كان دين الله دخلا، وعباد الله خولا)

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : هلاك امتي على يد غلمة من =

=قريش. وكان أبو هريرة يعرفهم بأسمائهم ويتكتم ذلك خوفا من بني أمية، وكان هذا من الجراب المكتوم عنده والذي قال فيه : عندي جراب من العلم لو كشفته لقطعتم مني هذا الحلقوم.

واخرج ابن الأثير في أسد الغابة ان النبي ﷺ قال لما مر به الحكم : ويل لامتي مما في صلب هذا، وهو طريد رسول الله ﷺ، نفاه من المدينة الى الطائف.

وكان الحكم يحكى مشية رسول الله ﷺ فدعا عليه بلخلج فصار يرتعش إلى أن مات.

ومعلوم أن ابنه مروان هو الذي غش أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وخانه وكانت اعماله سببا في قتل عثمان مظلوما

ومروان هو الذي كان يحرض مسلم بن عقبة على قتال اهل المدينة، وهو الذي قتل طلحة بن عبيد الله احد العشرة المشهود لهم بالجنة بسهم يوم الجمل، قال أبو عمر في الاستيعاب : ولا يختلف العلماء الثقات في ان مروان قتل طلحة يومئذ وكان في حزبه. وقال الذهبي في سير اعلام النبلاء ان مروان لما رأى الهزيمة يوم الجمل رمى طلحة بسهم وهرب.

واخرج الامام ابن الجوزى بسنده الى سعيد بن المسيب قال : ما اصلي لله تعالى صلاة الا دعوت على بني مروان.

واما ماذكره المعلق عن يزيد وأعوانه، وقوله : ولكن ذلك لايخرجهم عن الملة حتى تستباح اعراضهم اطلاقا ويستحل لعنهم كما تفعله الشيعة..)

أقول : إن لعن يزيد قال به الأفاضل من هذه الأمة وفي مقدمتهم إمام السنة أحمد بن حنبل، فقد سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال : كيف لايلعن من لعنه الله تعالى في كتابه، فقال عبد الله : قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد فقال الامام أحمد إن الله تعالى يقول : فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الئك الذين لعنهم الله) وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد. وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم : الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي =

....

=وسبقه القاضي ابو يعلى، وقال العلامة التفتازاني : لانتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله تعالى عليه وعلى انصاره وأعوانه، وممن صرح بلعنة الجلال السوطي عليه الرحمة. انتهى من روح المعاني للألوس ج 26 ص 72.

ومعلوم أن كل هؤلاء العلماء الذين ذكر الألوسي ليسوا من الشيعة ولا من انصارها بل هم من أيمة السنة، والمعروف عن الألوسي نفسه أنه من أساطين السنة ومن خصوم الشيعة كما لايخفى على من طالع كتبه.

قال الالوسي رحمه الله : لايتوقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه ويكفي مافعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة فقد روى الطبراني بسند حسن : اللهم من ظلم أهل المدينة واخافهم فاخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل منه صرف ولاعدل)

والطامة الكبرى مافعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين على جده وعليه الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك واهانته لأهل بيته، وفي الحديث : ستة لعنهم الله، وكل نبي مجاب الدعوة، المحرف لكتاب الله والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من اذل الله، ويذل من أعز الله، والمستحل من عترتي والتارك لسنتي.

وقال الالوسي أيضا : وأنا أقول : الذي يغلب على ظنى أن الخبيث لم يكن مصدقا برسالة النبي ﷺ، وان مجموع مافعل مع أهل حرم الله تعالى واهل حرم نبيه عليه الصلاة والسلام، وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات وماصدر منه من المخازي ليس باضعف دلالة على عدم تصديقه من القاء ورقة من المصحف الشريف في قذر، ولا أظن أن أمره كان خافيا على اجلة المسلمين اذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم الا الصبر ليقضي الله امرا كان مفعولا، ولو سلم أن الخبيث كان مسلما فهو مسلم جمع من الكبائر مالا يحيط به نطاق البيان، وأنا اذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر انه لم يتب واحتمال توبته اضعف من ايمانه، ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عز وجل عليهم اجمعين، وعلى أنصارهم واعوانهم وشيعتهم ومن مال اليهم الى يوم الدين مادمعت عين على ابي عبد الله الحسين. انتهى من روح المعاني.=

= ومما يستغرب أن احمد المختار ذكر ان مافعله يزيد واعوانه لايخرجهم من الملة حتى تستباح اعراضهم..

ومع ذلك تراه يستبيح اعراض علماء اجلاء، ويصفهم بالابتداع والضلال والاستدراج كالامام الغزالي الذي لقبته الأمة بحجة الاسلام، وكالولي الشهير احمد حبيب اللمطي قطب سجلماسة وكالعارف بالله الشيخ احمد أبي المعالي، وكالمجاهد الكبير الشيخ ماء العينين، مع أنهم لم يشاركوا في سفك دم امرا مسلم، ولم ينتهكوا حرمة البيت الحرام ولم يشربوا الخمر ولم ينهمكوا في ملاذ الدنيا.

عجبا لايستباح عرض يزيد الذي استهل ملكه بالولوغ في دم الحسين سبط رسول الله ﷺ وختم اعماله باسباحة المدينة، وحصد رؤوس الصحابة يوم الحرة، وانتهاك حرمة بيت الله الحرام ورمي الكعبة بالمنجنيق، هذا لعمري في القياس بديع.

واعلم يامن تربع على منصة التأليف ان قتل الحسين وسبي آل البيت هواشد اذية يواجه بها رسول الله ﷺ، وقد نص القرآن على لعن من يؤذى رسول الله ﷺ قال تعالى : (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، واعد لهم عذابا مهينا) قال القرطبي عند هذه الآية : فقد اذى بنوامية النبي ﷺ في احبابه، وناقضوه في محابه.

وفي القرطبي عند قوله تعالى : قل لاأسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى) عن النبي ﷺ : حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآداني في عترتي. واما استباحة المدينة واخافة أهلها فلاشك في لعن مرتكبه لما روى الطبراني بسند جيد : من اخاف اهل المدينة اخافه الله يوم القيامة ولعنه الله وغضب عليه ولم يقبل منه صرفا ولاعدلا.

وفي صحيح مسلم لايريد احد المدينة بسوء إلا اذابه الله في النارذوب الرصاص او ذوب الملح في الماء.

واما انتهاك حرمة البيت، ورميه بالمنجنيق فقد توعد الله من فعله بالعذاب الأليم قال تعالى : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) قال ابن الجوزى في زاد المسير عند هذه الآية عازيا لابن جريج انه استحلال الحرم تعمدا، وفي المحرر الوجيز عن ابن عباس أنه استحلال الحرام وحرمته، وفي القرطبي عن عطاء أنه القتل.=

....

=وقد نص بعض الفقهاء في باب الردة ان من انتهك حرمة البيت الحرام أنه مرتد. وفي كتاب الفروع في معرض كلامه عن الردة : فيتوجه عليه يزيد بن معاوية ونحوه يعني استباحته للمدينة والبيت الحرام.

وان تعجب فعجب ان لايعلن ويستباح عرض من جهز جيشا لابادة الصحابة في وقعة الحرة، وكانت هذه الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي قتل فيها الخبيث بقايا المهاجرين والانصار، وخيار التابعين وهم الف وسبعمائة وقتل من حملة القرآن سبعمائة رجل، واستباح المدينة ثلاثة أيام، وجالت الخيل في مسجد رسول الله ﷺ وبالت وراثت بين القبر والمنبر، إلى غير ذلك من الفظائع التي لايتجاسر على فعلها الا اليهود والملحدون.

وحتى لايتوهم بعض القاصرين فيما ذكرته من دفاع عن أحمد البدوي الميل الى المذهب الشيعي، اذ الباعث على هذا الدفاع قول المعلق : (ولكن ذلك لايخرجهم عن الملة حتى تستباح اعراضهم اطلاقا، ويستحل لعنهم كما تفعله الشيعة والضالعون في ركابها)

فإني بحمد الله ولدت وتربيت في بيت عريق عرف بتمسكه الشديد بعقيدة اهل السنة، وادين الله تعالى بأن افضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فبقية العشرة المشهود لهم بالجنة، فأهل بدر فباقي اهل احد، فباقي أهل بيعة الرضوان.

وان السابقين من الصحابة افضل ممن اعتنق الاسلام عام الفتح لقوله تعالى : (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولائك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى)

مبحث : مما يلفت الانتباه ان المعلق اورد احتمالا غير وارد عند قول الناظم :

(سلسلة الذهب من ضئضئه — وهي اذا أخذت في لؤلئه)
(فالحسن الخالص نجل العسكري — نجل علي نجل الجواد الأزهري)
(نجل الرضا فنجل موسى الكاظم — سليل جعفر سليل الصارم)
(محمد الباقر علم الثقلين — سلبل زين العادين بن الحسين) =

= وحمل الأبيات مالا تحمل اذ نبه بقوله (قد يظن من وقف على هذه السلسلة الذهبية في النسب والاشادة بها في سبيل ذلك، قد يظن بالناظم الميل الى مذهب الشيعة، لأن هؤلاء المذكورين في السلسلة ائمتهم ـ المعصومون في زعمهم ـ والحقيقة انه بعيد كل البعد من ذلك الاعتقاد)

قلت : لايمكن ان يفهم احد مما قاله الناظم الميل الى مذهب أهل الشيعة اذ لم يتجاوز رحمه الله سرد اسماء ائمة اهل البيت، ولامراء لدى المنصف في ان الاشادة بمناقب آل البيت ووصفهم بالعبارات اللائقة بمكانتهم هو دأب العلماء سواء كانوا من اهل السنة، أو من الشيعة أومن المعتزلة، وكل علماء السنة الذين ترجموا لائمة آل البيت حلوهم باوسمة رائقة، ونعتوهم بأجمل النعوت وأروع عبارات المدح، كالذهبي في كتابه سير اعلام النبلاء وابن كثير في تاريخه وابن عساكر وغيرهم.

ولم نر أحدا استهجن مايوصف به ائمة آل البيت من الأوصاف الحميدة سوى النواصب أو من سار على دربهم وحطب في حبلهم.

وأما كون الشيعة تعتقد العصمة في ائمة اهل البيت فإن ذلك لايجعل الائمة المشهورين من أهل البيت يعتقدون العصمة في أنفسهم ولا في غيرهم، وبعض الزيدية الذين ليسوا من أهل البيت يقولون بعدم عصمة الامام.

ولم يثبت في أي مرجع يوثق به أن محمد الجواد اعتقد العصمة في والده علي الرضا ولا الرضا في والده موسى الكاظم، ولا الكاظم في والده جعفر الصادق ولا الصادق في والده محمد الباقر ولا الباقر في والده علي زين العابدين ولا زين العابدين في والده الحسين رضي الله عن الجميع وحشرنا في زمرتهم.

ومعلوم لدى المحققين والباحثين في التاريخ الاسلامي وفي تاريخ النحل ان ائمة اهل البيت أو غيرهم من المشهورين من هذا النسب الطاهر لم يعتنق أحد منهم عقيدة أهل الشيعة قبل الشريف المرتضى.

وينبغي للمرء ان يميز بين الشيعة وبين ائمة اهل البيت مصدر العلم والنقاء والفضائل. =

= ومن المعلوم ان بعض الطوائف الضالة، كالخطابية والجارودية والمختارية والمغيرية والعلبائية وغيرهم، نسبت روايات ومفاهيم منكرة باطلة لأهل البيت، واختلقوا عقائد زائغة، موغلة في الكفر زعموا روايتها عن ائمة اهل البيت.

وهذه الطوائف المذكورة تقول : بالتناسخ وبالالوهية للائمة، وبالغيبة والرجعة والبداء والحلول والتشبيه، ونسبوا الغلط لجبريل في تبليغه الرسالة، وقالوا ان المقصود هو علي.

وقد تبرأ ائمة اهل البيت من جميع هذه الطوائف، ولعنوهم وطردوهم عن حضراتهم فقد لعن محمد الباقر حمزة بن عمارة البربري وذلك ان حمزة هذا كان يفتعل احاديث منكرة وينسبها لأهل البيت وبلغ به الكفر لعنه الله ان ادعى الالوهية لمحمد بن الحنفية، ولعن جعفر الصادق ابا منصور العجلي، كما لعن ابا الخطاب الأسدى، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه حين بلغه ماقاله فيه أبو الخطاب من الغلو : (يارب برئت اليك مما ادعى في الاجدع عبد بني اسد، اللهم العنة وروعه يوم القيامة..) ومن الجدير ذكره في هذا المقام ماذكره الامام الشوكاني في كتابه قطر الولي عن الغلاة والباطنية حيث قال مانصه : (واعلم أن بقايا المجوس، وطوائف الشرك والالحاد لما ظهرت الشريعة الاسلامية وقهرتهم الدولة الايمانية والملة المحمدية، ولم يجدوا سبيلا الى دفعها بالسيف ولا بالسنان، ولا بالحجة والبرهان، ستروا ماهم فيه من الالحاد والزندقة بحيلة تقبلها الاذهان، وتذعن لها العقول.

فانتسبوا إلى أهل البيت المطهرين، واظهروا محبتهم وموالاتهم، كذبا وافتراء وهم في الباطن اعظم اعدائهم، وأكبر المخالفين لهم. ثم كذبوا على أكابرهم الجامعين بين العلم والدين المشهورين بالصلاح والرشد، فقالوا : قال الامام فلان كذا، وقال الامام فلان كذا وجذبوا جماعة من العامة الذين لايفهمون ولا يعقلون، فتدرجوا معهم بدعوات معروفة، وسياسات شيطانية. ومازالوا ينقلونهم من رتبة الى رتبة، ومن درجة الى درجة حتى اخرجوهم الى الكفر البواح، والزندقة المحضة، والالحاد الصراح) انتهى من قطر الولي.

وقد صرح فقهاء الزيدية بكفر ونجاسة هذه الطوائف المشار اليها آنفا. =

= وقد يدرك الباحث في تاريخ الفرق الاسلامية ان هناك من انتسب الى أهل السنة يقول بالتجسيم والجبر، وأشياء منكرة وينسبها لبعض ائمة السنة كذبا وافتراء.

[redacted] : ننتقل الى موضوع آخر من تعليق احمد المختار وهو انكاره لصلاة اهل الأحوال، واساءته الى مؤلف كتاب مزيل الاشكال عن صلاة اهل الأحوال : فضيلة العلامة الولي الكامل، المتلفع بمروط التقوى والحلم المجمع على ورعه واتباعه للشريعة المغفور له : الشيخ احمد ابي المعالي.

فقد ذكر أحمد المختار في تعليقه الذي بهامش كتاب تحفة الألباب الجزء الأول / ص / 354 — مانصه : (منها مايسمونه بصلاة أهل الأحوال تأخذهم أصوات وحالات في الصلاة المفروضة تتنافى مع قوله تعالى : (وقوموا لله قانتين) ولقد الف بعض مشايخهم رسالة سماها (مزيل الاشكال عن صلاة أهل الأحوال) وليته لم يكن فعل وهو الآن صار رهين حفرته فياليت شعري ماذا قال وماذا قيل له. هكذا قال المعلق.

وقبل الرد على ماذكره احمد المختار أود أنْ أنبه القارىء الكريم إلى أنه كان ينبغي لصاحب التعليق ان يهذب لسانه اتجاه هذا العالم الكبير وان لاتصدر منه عبارات شنيعة في حقه وأن لاينزلق قلمه إلى كتابة تلك العبارة الشنعاء وهي قوله : (انه صار رهين حفرته)

وأنا أقول : بل صار في بحبوحة روضته، أيها المعلق الآتخشى على نفسك في الآخرة من قوارص وحصائد لسانك، وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه : (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم). وإلى متى وانت تعيث في أعراض العلماء وتعرقها بلسان حديد.

ولله در القائل :

(كم سيد متفضل قد سبه — من لايُساوى طعنةً في نعله)
(واذا استغاب أخو الجهالة عالما — كان الدليل على غزارة جهله) =

= واعلم أيها المعلق أن النبي ﷺ قال : القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. رواه الترمذي، وبناء على ذلك فإنه يلزم على من قال لآخر بعد موته إنه صار رهين حفرته رميه بالكفر ودخول النار اذا قلنا إن لازم القول يعد قولاً.

ولا يخفى على أحد شناعة جرم من رمى مسلما بالكفر وفي الحديث الصحيح اذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما.

وللرد على انكار المعلق لما يعترى بعض المصلين من الأحوال التي تأخذهم بالبكاء والتاوه.

نقول وبالله التوفيق : انه ثبت عند علماء النفس وغيرهم من المحققين ان الانسان قد يصيبه في بعض الأحيان مايسمى بنوبة الرعب ونوبة الفرح وهو عبارة عن انفعال يحدث للنفس وينتج عنه فقد الشعور فيسبب للشخص الذهول وفقدان التوازن والضبط على الاعصاب حتى يتفوه بكلام قد لايدرى معناه.

ونضرب مثالا لنوبة الفرح بالحديث الذي رواه الامام مسلم : (الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليهاطعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم انت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)

تأمل في نص الحديث فإن هذا العبد قال قولا منكرا دون شعور منه وذلك لشدة مااعتراه من نوبة الفرح.

وفي فتح الباري عند الكلام على هذا الحديث، قال عياض : (فيه أن ماقاله الانسان من مثل هذا في حال دهشة وذهول لايؤاخذ به)

واعلم ان نوبة الرعب أيضا قد تصيب الانسان فتفقده عقله، وقد شاهدنا من اذا توعده مسؤول ذو سلطة أو هدده بالضرب والسجن ترتعد فرائصه وتصطك مفاصله وأحيانا يسقط على الأرض مغشياً عليه.

فكيف بمن خالط قلبه الخوف من وعيد الخالق الجبار، وتذكر هول الموقف =

=والتفتيش في القبر، فإنه سيذهل ويغلبه البكاء والتأوه وحتى الصياح لامحالة. ومن اشد نوبات الرعب ما سبب الغشيان لصاحبه ماذكره الشعراني في كتابه تنبيه المغترين / ص / 34 ـ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قرأ يوما ـ اذا الشمس كورت ـ حتى بلغ قوله تعالى : واذا الصحف نشرت ـ فخر مغشيا عليه وصار يضطرب على الارض ساعة طويلة، وفيه ايضا ان الربيع بن خيثم رحمه الله سمع قاريئا يقرأ قوله تعالى : اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ـ فخر مغشيا عليه ثم حمل إلى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان هو الامام في حارته.

ـــ وفي سير اعلام النبلاء للامام الذهبي / ج / 7 / ص / 369 ـ ان الحسن بن صالح قام ليلة بـ (عمَّ يتساءلون) فغشي عليه، فلم يختمها الى الفجر.

وأعلم ان الفقهاء نصوا على أن التأوه والبكاء من خشية الله لايبطل الصلاة، واليك بيان ذلك :

قال ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني / الجزء الثاني / ص / 41 ـ (فأما البكاء والتأوه والانين الذي ينتظم منه حرفان، فما كان مغلوبا عليه لم يؤثر على ما ذكرنا من قبل وماكان من غير غلبة فان كان لغير خوف الله افسد الصلاة وان كان من خشية الله، فقال ابو عبد الله بن بطة في الرجل يتأوه في الصلاة ان تأوه من النار فلا بأس، وقال أبو الخطاب : اذا تأوه أو أن أو بكى لخوف الله لم تبطل صلاته، قال القاضي : التأوه ذكر مدح الله تعالى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال : (ان ابراهيم لاواه حليم) والذكر لايفسد الصلاة. وقد رجح تقي الدين ابن تيمية عدم بطلان الصلاة بالبكاء والتاوه من خشية الله.

قال في فتاويه مالفظه : فإن فعل ذلك لخشية الله فمذهب احمد وأبي حنيفة ان صلاته لاتبطل، ومذهب الشافعي انها تبطل لأنه كلام، والأول اصح فان هذا اذا كان من خشية الله كان من جنس ذكر الله ودعائه فانه كلام يقتضي الرهبة من الله والرغبة إليه، وهذا خوف الله في الصلاة، وقد مدح الله ابراهيم بأنه أواه، وقد فسر بالذي يتاوه من خشية الله. ولو صرح بمعنى ذلك بأن استجار من النار أو سأل الجنة لم تبطل صلاته.. وفي الصحيحن ان عائشة قالت للنبي ﷺ : ان ابابكر=

= رجل رقيق، اذا قرأ غلبه البكاء.. وكان عمر يسمع نشيجه من وراء الصفوف لما قرأ : (إنما اشكوبثي وحزني الى الله) والنشيج : رفع الصوت بالبكاء، كما فسره ابو عبيد. وهذا محفوظ عن عمر، ذكره مالك واحمد، وغيرهما وهذا النزاع فيما اذا لم يكن مغلوبا.

فأما مايغلب عليه المصلي من عطاس وبكاء وتثاؤب، فالصحيح عند الجمهور انه لايبطل، وهو منصوص احمد وغيره. انتهى من الجزء الثاني والعشرين من الفتاوي / ص / 623.

وقال المرداوي الحنبلي في كتابه الانصاف الجزء الثاني / ص / 138 — مانصه : او انتحب فبان حرفان فهو كالكلام الا ماكان من خشية الله تعالى فالصحيح من المذهب : ان صلاته لاتبطل، وعليه جماهير الاصحاب.

وفي كتاب الفروع لابن مفلح الحنبلي الجزء الأول / ص 491 (وان بان حرفان من بكاء او تأوه خشية او أنين لم تبطل، لأنه يجرى مجرى الذكر.

وفي منتقى الاخبار لابن تيمية الجد مانصه : باب البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى، قال الله تعالى : (واذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجدا وبكيا) عن عبد الله بن الشخير قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء) قال الشوكاني في شرحه نيل الاوطار عند هذا الحديث : فيه دليل على أن البكاء لايبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان ام لا وقد قيل ان البكاء من خشية الله لم يبطل. الجزء الثاني ص 369

وفي سبل السلام ج الأول ص 288 (ان مثل البكاء الذي ذكره عبد الله بن الشخير عن النبي ﷺ لايبطل الصلاة ويقاس عليه الانين.

وفي تفسير القرطبي عند قوله تعالى : (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) قال : وفيه دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى أو على معصيته في دين الله وأن ذلك لايقطعها ولايضرها.

وقال الكاساني الحنفي في كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج الأول =

....

= ص 235 — ما نصه : ولو أنّ في صلاته أو بكى فارتفع بكاؤه فإن كان ذلك من ذكر الجنة أو النار لاتفسد الصلاة وإن كان من وجع أو مصيبة يفسدها، لان الانين أو البكاء من ذكر الجنة أو النار يكون لخوف عذاب الله وأليم عقابه ورجاء ثوابه فيكون عبادة خالصة ولهذا مدح الله تعالى خليله عليه الصلاة والسلام بالتأوه فقال : ان ابراهيم لاواه حليم.. لأنه كان كثير التأوه في الصلاة وكان لجوف رسول الله ﷺ أزيز كأزيز المرجل في الصلاة، واذا كان كذلك فالصوت المنبعث عن مثل هذا الانين لايكون من كلام الناس فلا يكون مفسدا.

قال الالوسي في تفسيره : إنه شاهد في بعض الخالدين من أهل الطريقة النقشبندية ما يعتريهم من صباح في صلاتهم وقال وإنه سمع بعض المنكرين يقولون : ان كانت هذه الحالة مع الشعور والعقل فهي سوء أدب ومبطلة للصلاة، الى أن قال : وأجيب بأنها غير اختيارية مع وجود العقل والشعور وهي كالعطاس والسعال ومن هنا لا ينتقض الوضوء بل ولا تبطل الصلاة، وقد نص بعض الشافعية ان المصلي لو غلبه الضحك في الصلاة لاتبطل صلاته ويعذر بذلك، فلا يبعد أن يلحق ما يحصل من آثار التجليات الغير الاختيارية بما ذكر ولا يلزم من كونه غير اختياري كونه صادرا من غير شعور فإن حركة المرتعش غير اختيارية مع الشعور بها، وهو ظاهر فلا معنى للانكار. انتهى من روح المعاني ج 9 — ص — 86

وفي الكواكب الدرية أن ابن تيمية كان اذا دخل في الصلاة ترتعد اعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة.

وفي كتاب مناقب عمر رضي الله عنه لابن الجوزى مانصه : عن ابن عمر رضي الله عنه قال : غلب على عمر رضوان الله عليه البكاء وهو يصلي بالناس صلاة الصبح فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف.

تبين مما سقناه من كلام العلماء أن مايقع لأهل الاحوال المغلوبين من البكاء والتأوه والحنين والازيز اثناء الصلاة لايبطلها.

واما قول المعلق ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى : (وقوموا لله قانتين) فالجواب ان محل المنع هو تعمد الكلام أما مايصدر من المغلوب والناسي فغير داخل في المنع. =

= وسبب نزول الآية ان الصحابة كانوا يتكلمون في الصلاة، يكلم احدهم صاحبه في حاجته ولا يتحرج من ذلك حتى نزلت الآية (وقوموا لله قانتين) فكفوا عن الكلام.

قال ابن جرير : كانوا يتكلمون في الصلاة، يجيىء خادم الرجل اليه وهو في الصلاة فيكلمه بحاجته فنهوا عن الكلام.

مبحث : ونختم هذا الرد بما ذكره العالمان : ابن تيمية وابن حجر الهيتمي في معرض كلا مهما على مايقع لبعض العباد والعارفين من أحوال تأخذهم بالبكاء والغشي والموت.

فقد ذكر العلامة تقي الدين ابن تيمية عن بعض العباد انه كان يصعق عند سماع القرآن وذكر عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة انه قرأ في صلاة الفجر : (فإذا نقر في الناقور) فخر ميتا، وذكر قصة ابي جهير الأعمى الذي قرأ عليه صالح المرى فمات..

وقال ابن تيمية : والذي عليه جمهور العلماء ان الواحد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت اكمل منه، ولهذا لما سئل الامام احمد عن هذا. فقال : قرىء القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدِر احد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا. وقد نقل عن الشافعي انه اصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثير ممن لايستراب في صدقه.

لكن الأحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن، وهي وجل القلوب، ودموع العين واقشعرار الجلود، كما قال تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زاتهم ايمانا، وعلى ربهم يتوكلون)... وقال تعالى (اذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجدا وبكيا).. وقال ابن تيمية بأن الظالم لنفسه هو قاسي القلب، لايلين للسماع والذكر، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود.. وقال بأن المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذي يصعق صعق موت، أو صعق غشي، فان ذلك انما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، =

= وقد يوجد مثل هذا في من يفرح او يخاف او يحزن أو يحب امورا دنيوية، يقتله ذلك او يمرضه او يذهب بعقله..

فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان، لم يكن فيه ذنب فيما اصابه، فلا وجه للريبة. كمن سمع القرآن السماع الشرعي، ولم يفرط بترك مايوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها، فإنه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما، بل معذورا.. فهذه الأحوال التي يقترن بها الغشي أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لايشعر بنفسه ونحو ذلك، إذا كانت اسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محمودا على مافعله من الخير ومافاله من الايمان، معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب لتى تتضمن ترك مايحبه الله أو فعل مايكرهه الله.

ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الايمان ماحصل لهم أو مثله أو اكمل منه فهو افضل منهم. وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم، وهو حال نبينا ﷺ فإنه اسرى به إلى السماء وأراه الله مأراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله افضل من حال موسى ﷺ الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة : لكن حال محمد ﷺ أكمل واعلا وافضل. انتهى باختصار من الفتاوى ج 11 ص 7 - 12.

وقال العلامة الهيتمي : الا ترى أن بعض الهموم او الواردات الدنيوية اذا وردت على القلب اذهلته واذ هبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه في فكره وخطرها فإنه اذا كان هذا في الأمور السافلة التي لاتقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق على القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وعوالم الملكوت المنكشفة لهم في منازلاتهم ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم، فإن ذلك لايبقى في القلب شعورا ولا تمييزا بل يصير صاحبه كالسكران الثمل.. فينطق لسانه بطبق تلك الأحوال.. وكل سكر نشا عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف. انتهى من الفتاوي الحديثية ص 314. وينبغي للمعلق هداه الله أن لايقع في ورطة الانكار =

=على العلماء العارفين، فإنه السم القاتل، وجاء عن بعض العارفين انه قال : اقل عقوبة المنكر على الصالحين ان يحرم بركتهم ويخشى عليه سوء الخاتمة.

مبحث : ننتقل الى ماذكره احمد المختار في تعليقه الذي بهامش كتاب تحفة الالباب ج ـ 2 ص ـ 314 - 316 عند قول الناظم :

(عبد بن زمعة وحكما النبي وقال : ياسودة عنه احتجبي)
(واحتجبت لشبهه بمن دعاه وظاهر الشرع لزمعة نماه)

فقد تحامل صاحب التعليق على الشارح عند قوله : ومافعله رسول الله ﷺ هنا هو مدرك الجمع بين الشريعة والحقيقة.. وقال المعلق مانصه : (وأيضا يأتي الشيخ بجعجعته في الفرق بين الشريعة والحقيقة، وحسبناالله ونعم الوكيل وليت شعري ان لم تكن الشريعة الغراء المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله حقيقة فأين الحقيقة؟ وبعد كلام طويل قال المعلق : فلماذا اذا التشريع بالوجد والذوق؟ والعي عن التعبير عن ذلك، والاكتفاء في الرد بالتعمية والغموض وقولهم :

(لكنه بدون ذوق مادرى والدوق فيه يغني عن معبر)

وختم تعليقه بقوله : إن ادعاء ان هناك شريعة وهناك حقيقة غيرها هو من الباطل الذي يوحي به الشيطان الى أوليائه انتهى كلام المعلق.

ويبدو أن هذا الموضوع أثار حفيظة المعلق وأسرف في الغضب وافرط في الغيظ على الشارح رحمه الله.

وللرد على ماقاله المعلق، نسوق ماذكره العالم العارف عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف، في معرض كلامه عن الشريعة والحقيقة ومابينهما من تلازم اذ كان هو قد سبق إليه وبسط فيه مايتضمن الرد الكافي على أي معترض، قال مانصه :

لقد ورد في حديث جبريل المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقسيم الدين الى ثلاثة أركان، بدليل قول الرسول ﷺ لعمر : (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) =

= 1 ـــ فركن الاسلام : هو الجانب العملي، من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحله الاعضاء الظاهرة الجسمانية. وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته السادة الفقهاء.

2 ـــ وركن الايمان : وهو الجانب الاعتقادي القلبي، من ايمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر.. وقد اختص بدراسته السادة علماء التوحيد.

3 ـــ وركن الاحسان : وهو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه السادة الصوفية. ولتوضيح الصلة بين الشريعة والحقيقة نضرب لذلك مثلا الصلاة، فالاتيان بحركاتها وأعمالها الظاهرة، والتزام أركانها وشروطها، وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه، يمثل جانب الشريعة وهو جسد الصلاة. وحضور القلب مع الله تعالى في الصلاة يمثل جانب الحقيقة، وهو روح الصلاة.

فأعمال الصلاة البدنية هي جسدها، والخشوع روحها. ومافائدة الجسد بلا روح؟ وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه، فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقوم بها، ولهذا قال الله تعالى : (اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولا تكون الاقامة الا بجسد وروح ولذا لم يقل : اوجدوا الصلاة. ومن هذا ندرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة كتلازم الروح والجسد. والمؤمن الكامل هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة، وهذا هو توجيه الصوفية للناس، مقتفين بذلك اثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.

... فالشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فمن تمسك بالأولى منها سلك الثانية فوصل الى الثالثة، وليس بينهما تعارض ولا تناقض. ولذلك يقول الصوفية في قواعدهم المشهورة : (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة) وكيف تخالف الحقيقة الشريعة وهي انما نتجت من تطبيقها.

=

= ...وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها، وكما ابيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على مالم يرد فيه نص، فكذلك للعارفين ان يستنبطوا آدابا ومناهج لتربية المريدين وتهذيب السالكين.

أما هؤلاء المعترضون على السادة الصوفية :

ـ ان كانوا ينكرون هذا التقسيم إلى (شريعة، وطريقة، وحقيقة) على النحو الذي بيناه آنفا فهم لاشك يريدون بذلك ان يفصلوا روح الإسلام عن جسده، وان يهدموا ركنا هاما من أركان الدين الثلاثة الموضحة في حديث جبريل عليه السلام، ويخالفوا علماء الاسلام وكبار فقهائه. انتهى من كتاب حقائق عن التصوف ص 473

واما عن انكار المعلق لاصطلاحات أهل التصوف وتعبيرهم بالذوق، فنقول : انه اصطلاح جرى عليه العلماء العارفون من الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاحات، فإن لكل فن من الفنون أو علم من العلوم كأصول الفقه والحديث والمنطق والنحو والبلاغة، والطب والهندسة اصطلاحات خاصة به لايعلمها الا من درس ذلك العلم، فهل يفهم الطبيب اصطلاح المهندس، وهل يفهم الأصولي اصطلاح الطبيب حين يعبر كل منهم عن مسميات فنه؟ ومن الغباوة والبلادة ان تنكر على أهل فن مصطلحاتهم وتجادلهم فيها وانت جاهل بمدلول تلك المصطلحات.

وكذلك من قرأ كتب علم من العلوم دون أن يعرف اصطلاحاته، أويطلع على رموزه واشاراته فإنه يؤول الكلام تأويلات شتى مغايرة لما يقصده أصحاب ذلك العلم، ورحم الله الامام الشوكاني حيث قال :

(ياناقداً لمقال ليس يفهمه ... من ليس يفهم قل لي كيف ينتقد)
(اني بليت بأهل الجهل في زمن ... قاموا به ورجال العلم قد قعدوا)

وقد رأينا علماء أصول الفقه يعبرون : بالمنطوق والمفهوم، وبالسبر والتقسيم والقلب والقادح الى غير ذلك من الاصطلاحات الحادثة التي لم تكن معروفة إلا بعد تدوين الامام الشافعي لأصول الفقه. فهل يحق لشخص ان ينكر على الأصوليين اصطلاحاتهم بحجة أنها حادثة لم تكن معروفة في صدر الدولة الاسلامية؟ وهل ينكرها=

= لأنه يجهل مقصودهم بهذه العبارات؟ وهل يعتبر هذه الاصطلاحات تشريعا جديدا؟

وقد صنف جدنا الشيخ ماء العينين كتابا في اصطلاحات أهل التصوف، سماه الايضاح لبعض الاصطلاح، وهو مفيد لمن يريد التوسع في معرفة اصطلاحات الصوفيين.

والفت انتباه المعلق الى أني لو أردت استقصاء ماقاله العلماء عن الذوق لافضى بي الى كتابة سفر كامل، وحسبي في هذه العجالة ان اقتصر على ماذكره ابن القيم الجوزية عن الذوق قال رحمه الله :

والذوق مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر، ولايختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن بل ولا في لغة العرب قال الله تعالى : (ذوقوا عذاب الحريق).. وفي الصحيح عنه ﷺ (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا) فأخبر : ان للايمان طعما، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم الطعام والشراب.. ولما نهاهم عن الوصال قالوا : (انك تواصل، قال : إني لست كهيئتكم، إني أطعم واسقى) وفي لفظ (اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني)... وقد غلظ حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسي للفم، ولو كان كما ظنه هذا الظان : لما كان صائما، فضلا عن أن يكون مواصلا، ولما صح جوابه بقوله (لست كهيئتكم) فأجاب بالفرق بينه وبينهم، ولو كان يأكل ويشرب بفيه الكريم حسا، لكان الجواب ان يقول : وأنا لست أواصل أيضا، فلما اقرهم على قولهم (انك تواصل) علم انه ﷺ كان يمسك عن الطعام والشراب، ويكفي بذلك الطعام والشراب العالي الروحاني الذي يغني عن الطعام والشراب المشترك الحسي.

والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان والاحسان أمر يجده القلب.. فللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد. ولاتزول الشبه والشكوك عن القلب الا اذا وصل العبد إلى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشر فيذوق طعمه ويجد حلاوته، والله الموفق. ثم تكلم ابن القيم على درجات الذوق وأنواعه وبسط فيه الكلام وشفى الغليل. راجع مدارج السالكين الجزء الثالث ص 90 - 95. =

= ويظهر من كلام أحمد المختار في عدة مواضع من تعليقه هذا اتجاه أهل التصوف انه لايميز عن وعي او غير وعي بين الصوفيين الذين حافظوا على نقاء التصوف المنبثق من الكتاب والسنة. وبين ادعياء التصوف الدخلاء الذين شوهوا التصوف، ولطخوه بالبدع والانحراف عن الشريعة المطهرة، وانغمسوا في مزبلة الحلول والاتحاد. وهذا الخلط وعدم التمييز بين هذين الصنفين غلط فاحش من المعلق، كان ينبغي له أن لايكتبه وينشره بين الناس.

ونحن اذا ما نافحنا عن التصوف فإنما ننافح عن التصوف النابع من معين القرآن وينبوع السنة النبوية، وإذا ما دافعنا عن أهله فإنما ندافع عن أولائك الذين وقفوا عند حدود الشريعة، واقتفوا سنة النبي ﷺ، وهذبوا القلوب بنور العلم وانفقوا في سبيل الله، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم.

وينبغي لمن حباه الله بالعقل أن يميز بين هؤلاء المحقين، واولائك المنحرفين من المتصوفة الذين اتخذوا التصوف وسيلة لتحريف الدين، وافساد المجتمع، ونشر الاباحية، ولاننكر أنه اندس أناس من الباطنية والمنافقين بين أهل التصوف بغية تحريف التصوف عن منهاج الكتاب والسنة، ودسوا عليه أشياء هو منها بريىء، كما دسوا على العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وتصوف.

فقد دسوا في التفسير بعض الاسرائليات التي ليست الا أساطير كاذبة، وقد وفق الله علماء المسلمين الى تمحيص هذه الاسرائليات وتنبيه المسلمين إلى ضررها.

ودسوا في الحديث أحاديث موضوعة، بغية تحطيم العقيدة، وبث العقائد الفاسدة، وقد قيض الله لسنة رسوله ﷺ جهابذة العلماء، محصوا تلك الأحاديث وبينوا الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

وأما التصوف فكغيره من العلوم الاسلامية فلم يسلم من دس المنحرفين والدخلاء، ولكن العلماء الغيورين على الدين ـــ كالشعراني والسيوطي وزروق ـــ محصوه وهذبوه وبينوا مافيه من الدس على السادة الصوفية.

ويجدر بنا أن نسوق للقارىء ماذكره عبد القادر عيسى عن الصوفية وادعياء التصوف، فإنه أجاد وأتى بما لامزيد عليه قال : لقد شوه التصوف رجال مغرضون=

=تزيوا بزيه وانتسبوا له فأساؤوا إليه بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم، والتصوف منهم براء.

فمن اجل خدمة الحق واظهاره علينا أن نفرق بين ادعياء التصوف المنحرفين، وبين السادة الصوفية الصادقين العارفين، وخصوصا الايمة منهم الذين كانت لهم درجات عليا في الايمان والتقوى والورع، وآثار كبرى في نشر الاخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى في سائر العصور والبلدان وعلينا أن نقف وقفة رجل متمسك بشرعه ودينه ونقول : هناك فرق كبير بين المتصوف والصوفي، وليس المتصوف بانحرافه وشذوذه ممثلا للتصوف كما أن المسلم بأفعاله المنكرة ليس ممثلا لاسلامه ودينه.

ومتى كان في شريعة الحق والدين أن يؤخذ الجار بظلم الجار؟ وان يتحمل الاسلام في جوهره النقي أخطاء المسلمين المنحرفين؟ وان تنسب إلى هذه الفئة الطيبة النقية اخطاء المتصوفة الشاذين؟

وانكار بعض العلماء على أفعال شاذة منسوبة الى الصوفية انما يستهدف هؤلاء الغلاة المنحرفين من أدعياء التصوف. ولطالما حذر مرشدوا الصوفية الناس منهم. قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في كتابه قواعد التصوف : (فغلاة المتصوفة كاهل الأهواء من الأصوليين وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يرد قولهم، ويجتنب فعلهم، ولا يترك المذهب الحق الثابت بنسبتهم له وظهورهم فيه).

... ونحن ننكر ما انكره العلماء على هؤلاء الأدعياء من المتصوفة المنحرفين، الشادين عن دين الله تعالى، وأما المتمسكون بالكتاب والسنة، المستقيمون على شرع الله فهم الذين نعنيهم، ونقتفي أنثرهم. انتهى من كتاب حقائق عن التصوف ص 558.

ولابأس بتقديم كلمة موجزة عن مضمون التصوف. ولست بحاجة أن أقف عند هذا المصطلح بحد ذاته بل نتجاوزه لنتعرف على معنى التصوف وجوهره، ونبرز ماله من نتيجة في اصلاح الفرد المسلم.

فالتصوف عبارة عن مقام الاحسان الذي به تتم تزكية النفوس وتهذيبها. وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية. وتحليتها بالفضائل الشرعية وتخلقها بالأخلاق النبوية الطاهرة قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته =

= ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة) قوله تعالى : يزكيهم) يعطيهم حالة التزكية أي يحملهم على مايصيرون به ازكياء طاهرين من دنس الذنوب، وهناك فرق بين علم التزكية وحالة التزكية كما هو الفرق بين علم الصحة وحالة الصحة، والجمع بينهما هو الكمال.

والتصوف يدعو الى تطهير القلب من الغوائل التي لايطلع عليها الا الله ولا يحاسب عليها غيره، والتي تصد صاحبها عن بلوغ درجة الاخلاص في الأعمال، وصفاء النية.

ذلك أنه من السهل على الانسان ان يتحلى في ظاهره بكثير من أحكام وأوامر الله دون أي اخلاص قلبي لها، ودون أي انضباط حقيقي وجوهري بها، ابتغاء الحصول على الحقوق والامتيازات الاسلامية في حياته الدنيوية، ولا يكلفه ذلك اكثر من مصانعة للناس وستر لبواطن الزغل والانحراف بظاهر من الاستقامة.

ومن هنا فإن فائدة التصوف تتجلى في السعي الى تطويع الباطن لما قد تحلى به الظاهر بحيث يُصبح ظاهر المسلم عنوانا على باطنه.(1)

ونختم هذا الرد بما ذكره الاستاذ عبد القادر عيسى في معرض كلامه عن المتحاملين على التصوف. حيث قال : ان الذين طعنوا في التصوف الاسلامي، وتهجموا عليه، واتهموه بشتى أنواع الأكاذيب والافتراءات، ورموه بالانحراف والزيغ، أما ان يكون باعثهم على ذلك الحقد والعداوة المتأصلة للاسلام، وإما أن يكون سبب وقوعهم في هذا الاثم جهلهم المطلق بحقيقة التصوف.

1 ــ أما الصنف الأول : فهم اعداء الاسلام من الزنادقة والمستشرقين واذنابهم وعملائهم الذين صنعتهم الصليبية الماكرة والاستعمار البغيض لطعن الاسلام ودك حصونه وتشويه معالمه وبث سموم الفرقة والخصام بين صفوف ابنائه.. وقد عكف هؤلاء المغرضون على دراسة الاسلام دراسة دقيقة مستفيضة كي يعرفوا سر

---

(1) اقتباس مما ذكره العلامة اليوطي في احدى محاضراته

=

= قوته، وليعلموا من أي باب يلجون وفي أي طريق يسيرون للوصول الى أهدافهم الماكرة، ومآربهم الخبيثة.. فتارة يمدحون الاسلام في بعض كتبهم كي ينالوا ثقة القارىء، فإذا اطمأن إليهم وركن إلى أقوالهم شككوه في عقائده وحشوا قلبه بأباطيل ألصقوها بالاسلام زورا وبهتانا، وتارة ينتحلون صفة الباحث العلمي المتجرد، ويلبسون ثوب الغيور على الدين المتباكسي على تراثه، فيشنون حملة شعواء على التصوف وقد عرفوا أنه روح الاسلام وقلبه النابض، فيدعون أنه مقتبس من اليهودية أو النصرانية أو البوذية ويتهمون رجاله بعقائد مكفرة وافكار منحرفة ضالة.. ونحن لانعتب عليهم لأنهم أعداء وهذا شأن العدو الماكر.

ولا ندخل في تفاصيل الرد عليهم وتفنيد افتراءاتهم بعد أن علمنا اغراضهم ومآربهم الخبيثة، ولكننا نعتب على جماعة يدعون الاسلام ثم يتبنون آراء هؤلاء الخصوم الألداء وخصوصا في طعن الاسلام في روحه وجوهره آلا وهو التصوف، فهل يصح لمسلم عاقل أن يتخذ أقوال الاعداء المتحاملين المغرضين الكافرين حجة لطعن اخوته المؤمنين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

2 ــ وأما الصنف الثاني : فهم الذين جهلوا حقيقة التصوف الاسلامي ولم يأخذوه عن رجاله الصادقين وعلمائه المخلصين، بل نظروا إليه نظرة سطحية بعيدة عن التمحيص والتبين، وهؤلاء أقسام :

أ ــ قسم اخذوا فكرتهم عن التصوف من خلال أعمال وسلوك بعض الدخلاء والمنحرفين من ادعياء التصوف، دون أن يفرقوا بين التصوف الحقيقي الناصع وبين بعض الوقائع المشوهة التي تصدر عن الدخلاء على الصوفية والتي لاتمت الى الاسلام بصلة.

ب ــ وقسم خدعوا بما وجدوه في كتب السادة الصوفية من أمور مدسوسة أو مسائل دخيلة فأخذوها على أنها حقائق ثابتة دون تحقيق أو تثبت، أوانهم أخذوا الكلام الثابت في كتب الصوفية ففهموه على غير مراده، حسب فهمهم السطحي وعلمهم المحدود وأهوائهم الخاصة، دون ان يرجعوا الى كلام الصوفية الواضح الذي لايحيد=

=عن لب الشريعة والذي يعطي الضوء الناصع والنور الكاشف لتأويل هذا الكلام المتشابه.

ج ــ وقسم هم المغشوشون المخدوعون الذين اخذوا ثقافتهم وعلومهم عن المستشرقين كما بينا سابقا، وتبنوا مزاعمهم وأباطيلهم كأنها بدهيات لاتقبل الجدل، أو تنزيل من حكيم حميد. ولم تسعفهم الفطانة والذكاء إلى إدراك حقيقة هؤلاء المستشرقين الذين نصبوا انفسهم وجندوا ثقافتهم لهدم الاسلام بتشويه معالمه وطعنه في جوهره وروحه. انتهى من (حقائق عن التصوف) ص 560.

قد يلاحظ المتتبع لكتابات احمد المختار ترصده المفرط لما يظنه هفوات الصوفية ويلاحقهم في كل المواقع، ويعلنها حربا ضروسا عليهم، ولكن الحظ لم يسعفه في كسب المعركة ربما لامتشاقه سيف أبي حية(1)

[redacted] : من الغريب أن المعلق عندما تعرض في مقدمة تعليقه للتعريف بالناظم والشارح قال : (ابدى عميق اسفي على أني لست عل بينة من أمر هذين الرجلين العظيمين الطائر صيتهما بتآليفهما لأنهما ليسا من المنطقة التي انتمى إليها من موريتانيا، وهي بلاد مترامية الأطراف)

وهذا العذر غير وارد في نظري ــ لسبب بسيط وهو أن شهرة أسرة البدوي لو لم تعم الآفاق، لما سمع بها العلامة الشهير : عبد الله بن سيد محمود القاطن في اقاصى منطقة ارقيبة(+) والذي وفد على والد البدوي العلامة محمدا ــ بمد الدال المفتوحة ــ لاخذ العلم عنه وامتدحه بابيات منها :

=

---

(1) ابو ية النميرى كانت به لوثة وكان من اجبن الخلق وله سيف من الخشب يسمين لعاب المنية

(+) منطقة رقيبة التي كان يسكنها عبد الله بن سيد محمود أناى من منطقة المعلق بالنسبة لناحية المؤلف

(تحية ذى قربى يسائلكم غدا برحماه يوم الحشرآل محمدا)
(ومختارها المختار منكم وكلكم خيار لدينا نبتغي بكم الهدى)
(فلولاكم لم يلف للدين مرشد وظن رعاع الناس أنْ يتركوا سدى)

وغير خاف أن المواصلات أنذاك تختلف عن المواصلات في هذا العصر الذي أصبح فيه العالم كله كالقطر الواحد.

ولامبرر لما قاله المعلق من أن عدم اطلاعه على أمر هذين الرجلين عائد إلى ترامي اطراف البلاد، اذ سرعة الموصلات اليوم وتوفرها يمكن المعلق من الاطلاع على جلية أمرهما سواء في أي ناحية كانا من نواحي موريتانيا.

هذا مع العلم أن من أول مظان البحث عن هذين العالمين هو المعهد الموريتاني للبحث العلمي الذي يوجد فيه سبط الناظم محمد يحيى بن سيد حمد وهو باحث في المعهد نفسه، ولديه من التفاصيل عن البدوي وحماد مايكفي لمن يتصدى لتحقيق تأليفهما.

أضف إلى ذلك أنه توجد ترجمة للبدوى في كتاب فتح الشكور وفي الاعلام للزركلي. وعدم تقصي المعلق لأخبار البدوي وأسرته ومكانتها العلمية، أفضى به الى إيراد قصة شعبية تتنافى والسياق المعرفي للبدوي واسرته، وزعم أنها الباعث له على تعلم السيرة وانساب العرب، وتقول القصة : (ان من دواعي شروع المؤلف في تألف نظمه هذا أنه استضاف خيمة من تلك الناحية التي تليهم. ومعروف عن بعض زواياها عدم الاهتمام بالضيف فلما احتج على أهل الخيمة يريد جائزة الضيف، قالت له ولية بداخل الخباء : ولعلك لاتعرف من هي جدة النبي ﷺ لأمه؟ فخجل وانسحب وجد في طلب علم السيرة والنسب)

كيف نوفق بين هذه القصة وماثبت من روايات متواترة تفيد أن البدوي رحمه الله عدَ من العلماء قبل بلوغه سن الرشد، ودَرَّسَ في مدرسة والده الشهيرة.

علاوة على أن أحفاد المؤلف يعتبرون هذه القصة مختلفة من أصلها.

ومن **أغلاط** المعلق ماجاء في الجزء الأول ص 31 من التعريف لمحمد اليدالي =

= بأنه حليف بني ديمان، وكأن العلامة محمد اليدالي صاحب المصنفات الشهيرة الذي ذاع صيته وعمت شهرته الآفاق، وحاز قصب السبق بحله للغز الذي بعث به سيد عبد الله بن محم (ابن رازكه) إلى أهل فاس بعد ماأعيى وحير اللغويين والبلاغيين في حكمة الاظهار في قوله تعالى : (ثم استخرجها من وعاء اخيه). كأن هذا العلامة على جلالة قدره وذيوع صيته واشتهار مؤلفاته لاتعريف له إلا أنه حليف بني ديمان، وهذا غلط في الأنساب فادح.

فنسب هذا العلامة كما نص عليه النسابون في بلاد موريتانيا هو : محمد بن المختار بن محمد سعيد بن المختار بن عمر بن يحيى بن زكريا بن علي بن ايداج اليدالي نسبة الى ايداج خامس الخمسة الذين يسمون تاشمش جد قبيلة ادوداي المعروفة، وامه امبيكلة بنت سيد المين بن باركلا من بني ديمان. توفي سنة 1166 هـ

ويقال إن جهل الاعيان جرحة في الشهادة، لذلك طفحت دواوين الاسلام بتراجم العلماء والزهاد والمحدثين والقراء والشعراء، فكيف بمن اجتمعت فيه هذه الصفات كلها. وقد يظن بعض الناس أن علم الانساب ليس ذا أهمية كبرى، وهذا باطل فالشارع رتب عليها حقوقا وواجبات، كالتوارث والدية وصلة الرحم، والقسامة ولولاء والكفاءة، وقد صنف في علم النسب جماعة من أجلة العلماء كالبيهقي وابن حزم وابن عبد البر وعياض وغيرهم. ونص العلماء على أن الغرض من علم الأنساب الاحتراز عن الخطا في نسب شخص، وهو علم عظيم النفع جليل القدر.

ذكر بعض العلماء : ان تعلمه فرض كفاية، لقوله تعالى : (انا خلقنكم من ذكر وانثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقكم) قال أهل التفسير : ليعرف بعضكم بعضا فتصلوا الارحام وتبينوا الانساب والتوارث.

واخرج الامام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة : تعلموا من أنسابكم ماتصلون به ارحامكم)، وعليه فاليعلم المعلق أن العلامة محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي عني عن التعريف بالنسب فأحرى بالحلف، فهو من هو وإن جهل المعلق.

وفي الختام فإني أرجو ممن حباهم الله بنور العقل وأمدهم بسلطان العلم أن يعلموا أن الدافع لكتابتي لهذه الردود على ماذكره أحمد المختار في تعليقه، إنما هو =

=تبيان الحق والذب عن بعض الأعيان، وتنبيه القارىء الى مايحتوى عليه تعليقه من محاولة لالصاق تهمة الضلال والتبديع ببعض العلماء الأجلاء الذين انتقلوا إلى جوار الله تعالى وما اظهره فيه من التحامل الشديد على أهل التصوف دون تمييز، والتهجم على أعلام هم طليعة أهل السنة في القطر الموريتاني.

ولاعجب من صنيع المعلق، فهذا ديدن كثير من أصحاب الاقلام المأجورة في هذا العصر، الذين جعلوا الارتزاق الفكري حرفتهم، فهم لايفترون عن شتم وسب العلماء والعظماء من هذه الأمة، ورحم الله البارودي حيث قال :

(فلا رحم الله امرأ باع دينه بدنيا سواه وهو للحق رامق)

وقد جرت سنة الله في خلقه ان المنصف اذا مافتش عن حال من يتعرض للأولياء والعلماء، وأهل الفضل ــ بالشتم والنقيصة يجده في الغالب سافل الأخلاق حقير الشان مريض القلب، فاسد الطوية، قد تمعك في ردغة النذالة، وارتطم في حماة السفالة. ولله در البادودي حيث قال :

(من غير ماذنب جَنيت وإنما بغض الفضيلة شيمة الجهلاء)

وقد أعرضت عن كثير مما أورده المعلق في تعليقه، حتى لانبتعد عن موضوعنا بالاستطرادات، وفيما سقته من الردود كفاية على بعض ماأثاره المعلق.

الفصل الرابع في معنى الولي

نعود الى ماكنا بصدده من الكلام على آخر ماتبقى من نص العقيدة. وقد قلنا في صفحة تسعين من هذا الكتاب : إن الولي هو الممتثل لأوامر الله المجتنب لنواهيه. 98

والآن نبدأ بحول الله في شرح معنى الولي ونقول وبالله التوفيق :

الولي فعيل بمعنى فاعل وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان. وشاهده قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) أو بمعنى المفعول فهو من يتوالى عليه احسان الله وافضاله. وشاهده قوله تعالى : (ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) والولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة. المجتنب للمعاصي. المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. قال ابن حجر : المراد بولي الله العالم بالله. المواظب على طاعته. المخلص في عبادته.

وأخرج ابن جرير وابن حاتم عن ابن زيد رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : (الا آن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) قال : هم الذين اذا رؤوا ذكر الله أي لحسن سمتهم واختباتهم، عليهم من اله سمات ظاهرة، قد علاهم نور الجلال وانس الوقار، فإذا نظر الناظر إليهم ذكر الله لما يرى من آثار الملكوت عليهم، فهذه صفة الأولياء.

قال الألولسي : واحسن مايعتمد عليه في معرفة الولي اتباع الشريعة الغراء، وسلوك المحجة البيضاء فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه الولي ولو أتى بالف خارق.

وقال الشوكاني : والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء ان كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره مقيما لما اوجب الله عليه، تاركا لما نهاه الله عنه مستكثرا من طاعاته، فهو من أولياء الله سبحاتنه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لايحل لمسلم ان ينكرها، ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه وليست ولايته رحمانية بل شيطانية، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس. انتهى من قطر الولي للشوكاني ص : 256

ولا يشترط في الولي صدور كرامة على يده، وأكبر كرامة للولي هي الاسقامة ولزوم الطاعة. وإذا ظهرت له كرامة زادته تواضعا لله وخشية له، ولا يفرح بوقوع الكرامات كالمشي على الماء، وطي الأرض لأنه دائما يخاف المكر، ولأن خرق العادة يجده الفاسق استدراجا له ليزداد غرورا وضلالا.

قال شيخ الاسلام العارف بالله عمر السهروردي :[1]

وقد يفتح على الصادقين شيءمن خوارق العادات وصدق الفراسة، ويتبين ماسيحدث في المستقبل وقد لايفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك، وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة، فما يتفح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد ابقائهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة، ومايفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره، وحماقته واستطالته على الناس، وازدرائه بالخلق، ولايزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام، ويطن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى، ويترك متابعة الرسول ﷺ ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال. انتهى من عوارف المعارف.

قال الشوكاني : لايجوز للولي ان يعتقد في كل مايقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه، فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره.

بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وافعاله على الكتاب والسنة، فان كانت موافقة لها فهي صدق وحق وكرامة من الله سبحانه وان كانت مخالفة لشيء من ذلك فليعلم انه مخدوع ممكوربه، قد طمع منه الشيطان فلبس عليه.

فحق على الولي وان بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وارفع مكان أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفا على الحدود

---

(1) ليس هو السهر وهى المقتول، فدك اسمه : يحيى بن حبش وقد توفي قبل هذا بخمس واربعين سنة

الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره فقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح انه قال : (كل أمر ليس على أمرنا فهو رد) واذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده واعتقد أنه من الشيطان. انتهى من قطر الولي.

قال الألوسي : من اعتقد أن الولاية أفضل من النبوة فهو كافر، ومن اعتقد الأفضلية لولي من الأولياء على نبي من الأنبياء فإن ذلك كفر عظيم وضلال بعيد.

قلت : ينبغي للمرإ أن لايحكم على أحد بالولاية إذا رآه ياتي بخوارق العادات حتى يرى تمسكه بشريعة الله ووقوفه عند أوامره ونواهيه.

اعلم ان الولي بشر يجرى عليه كل مايجرى على بني آدم فهو ياكل ويشرب وينام ويتزوج ويمرض وينسى ويجتهد ويخطىء ويصيب وتصيبه نوائب الدهر وبلابا الحياة ويدعو فلا يستجاب له احيانا وقد يعصي ويخالف أحيانا لأنه غير معصوم بل العصمة خاصة بالأنبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام، لكنه اذا وقع منه ذنب لايصر عليه بل يقلع عنه ويتوب من ساعته.

ولايملك لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا الا باذن الله، ولا في استطاعته ان يرد عن نفسه ولا عن احد من أهله شيئا من قضاء الله وقدره.

وقد يكون في أهله وأولاده الصالح المستقيم، والفاسق المجاهر بالمعاصي المنتهك لحرمات الله، ومما يؤسف له ويحزن القلب مانسمعه ونشاهده احيانا من تصرفات وافعال مخالفة للشريعة تصدر من أناس ينتسبون الى بعض الأولياء والعلماء، كتر الصلاة وشرب الخمر، وتعاطى المخدرات والفطر في شهر رمضان من غير عذر، ونكاح بعضهم لمطلقته ثلاثا قبل زوج.

واذا نصحه من هو حفي به يرد عليه المغرور أنا ابن الولي فلان، يكفيني ماتقدم من عمل والدي أوجدى ولم يدر المخدوع أن من أول بلاغات الانذار التي بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام هي قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الاقربين)، وقد أنذر النبي ﷺ أقرب الناس إليه فاطمة بنته وفلذة كبده حيث قال : يافاطمة بنت

محمد لاأغني عنك من الله شيئا) وقال ﷺ : وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وقد نص القرآن في كثير من آياته أنه لاينفع المرأ الا عمله قال تعالى : (من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وقال تعالى : (بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئاته فالئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى :(يأأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور).

ومما يندى له الجبين مايردده بعض القاصرين والسفلة من أن عصاة المنتسبين لأهل البيت لايعاقبون على ذنوبهم، وهذا كذب وباطل ولم يصح في ذلك عن الله ولا عن رسوله ﷺ حرف واحد.

وفي هذا المضمار يقول الشوكاني : ان القول برفع الذنوب عن عصاة أهل اليت انما هو قول علماء السوء المتقربين الى المتعلقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف وهو باطل موضوع.. بل القرآن اعدل شاهد وأصدق دليل على زجر قول كل مكابر جاحد فإنه قال عز وجل في نساء النبي ﷺ (من يات منكن بفاحسة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) وليس ذلك الا لما لهن من رفعة القدر وشرف المحل بالقرب من رسول الله ﷺ، وذريته الاطهار هم احق منهن بهذا المضمار فإنهم أقرب إلى رسول الله ﷺ وأشرف قدرا وأعلى محلا وأكرم عنصرا وافخم ذكرا ولو كان الأمر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله تعالى : واندر عشيرتك الاقربين) معنى ولا كبير فائدة واذا كان المصطفى ﷺ يقول لفاطمة البتول التي هي بضعة منه يغضبه مايغضبها ويرضيه مايرضيها (يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئا) فليت شعري من هذا من أولادها الذي خصه الله بما لم يخصها ورفعه إلى درجة قصرت عنها، فأبعد الله علماء السوء وقلل عددهم فإن العاصي من أهل هذا البيت الشريف المطهر اذا لم يكن مستحقا على معصيته مضاعفة العقوبة فأقل الأحوال أن

يكون كسائر الناس، فيامن شرفه الله بهذا النسب الشريف اياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف. انتهى كلامه

تنبيه : يجب على المسلم الصادق الايمان أن يهجر من اعلن بالمعاصي سواء كان العاصي ابنا أو أبا أو أخا أو ابن عم، ولافرق بين كون المعاصي قولية أو فعلية أو اعتقادية، ويكون الهجر لوجه الله تعالى وغضبا لارتكاب نواهيه أو إهمال أوامره.

وفي مسند الامام أحمد عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لايجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاية لله تعالى. وفي مسند أحمد وشعب الايمان للبيهقي من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : ان اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله، والحب في الله والبغض في الله مما لايكمل ايمان المرء إلا به بل هو أوثق عرى الايمان، والمداهنة ليست من الدين في شيء بل المداهن يهلك نفسه ويهلك من داهنه، قال تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) قال محي الدين ابن النحاس عند هذه الآية : وفيه وجوب الهجر في الله وقطع المودة في ذات الله وقد هجر ابن عمر ابنا له إلى أن مات انتهى من تنبيه الغافلين عن اعمال الجاهلين.

وقال الامام النووي : وردت الأحاديث بهجر أهل البدع والفسوق، ومنابذى السنة وانه يجوز هرانهم دائما.

وقال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أنه لايجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته مايفسد عليه دينه أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده انتهى من التمهيد ج 6 ص 117 وفي نفس الجزء عند حديث : لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. قال ابن عبد البر : وهذا الحديث وان كان ظاهره العموم فهو عندي

مخصوص بحديث كعب بن مالك حيث امر رسول الله ﷺ أصحابه ان يهجروه ولا يكلموه هو وهلال ابن امية ومرارة بن ربيعة لتخلفهم عن غزوة تبوك، حتى انزل الله عز وجل توبتهم وعذرهم، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يراجعوهم الكلام، وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه اذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها.

قال في منظومة الآداب :

(وهجران من أبدى المعاصي سنة　　وقيل إن يردعه أوجب واكد)
(وقيل على الاطلاق مادام معلنا　　ولاقهْ بوجه مكفهر مربد)

قال محمد السفاريني في شرحه غذاء الألباب عند البيت الأول : قال أبو داود رضي الله عنه : اذا كانت الهجرة لله فليس من هذا يعني من أحاديث الوعيد بالهجران بشيء، فإن النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يوما، وابن عمر رضي الله عنه هجر ابنا له الى أن مات، والامام أحمد رضوان الله عليه هجّر جماعة ممن اجابوا في المحنة مثل يحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهما مع فخامة شأنهم، حتى ذكر الامام ابن الجوزى أن الامام احمد رضي الله عنه عمل ابياتا في شأن علي بن المديني وارسلها إليه وهي :

(يابن المديني الذي عرضت له　　دنيا فجاد بدينه لينالها)
(ماذا دعاك الى انتحال مقالة　　قد كنت تزعم كافرا من قالها)
(امر بدا لك رشده فتبعته　　أم زينة الدنيا أردت نوالها)
(ولقد عهدتك مرة متشددا　　صعب المقالة للتي تدعى لها)
(إن المرزى من يصاب بدينه　　لامن يرزأ ناقة وفصالها)

وكم إمام هجر لله خدنا كان اعز عليه لولا انتهاكه لمحارم مولاه من روحه فصار بذلك كالجماد بل ادنى.. وقال القاضي ابو الحسين في التمام : لاتختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفساق الملة، وظاهر اطلاقه لافرق بين المجاهر وغيره في المبتدع والفاسق فينبغي لك إن كنت متبعا سنن من سلف أن كل من جاهر بمعاصي

الله لاتعاضده ولا تساعده ولا تقاعده ولا تسلم عليه بل اهجره انتهى كلامه.

قال العلامة القارى : وتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه إلى غيره.. انظر عين العلم وزين الحلم للقارى

[redacted] : هناك ظاهرة تسترعى الانتباه في موريتانيا وفي غيرها من البلاد الاسلامية الأخرى وهذه الظاهرة هي : ان بعض الاسر النابهة التي كانت تحمل مشعل العلم، وتتبوأ مكان الصدارة في قيادة المدارس العلمية والروحية، وبهم كان يضرب المثل الأعلى في الأخلاق الفاضلة، والتقى والصلاح والسمت، مع ماتوارثوه من المجد الأصيل والكرم العريق، واشتهروا به من المآثر والمفاخر قد تغير وضع هذه الأسر بمرور الزمن وتقلب الأحوال والظروف، وآلت قيادتها الى صنفين من الناس :

صنف يظهر التمسك بالاسلام وفي باطن الأمر لايكترث بتعاليم الشريعة ولا يوليها أيَّ اهتمام تتأجج فيه نار التمرد على كل القيم والأعراف التي كانت معروفة لدى أسلافه، لايفتوء يثور على ماخلفه اجداده من اخلاق فاضلة، وتقاليد مستمدة من تعاليم الاسلام. ويعتبر ذلك كله جمودا في زعمه وتخلفا عن مسايرة مايسميه ركب الحضارة.

وهذا الصنف معروف بسخريته واستهزائه بكل ما تركه السلف من مجد عريق، مع جهله المركب بالثقافة الاسلامية، بعضهم له ثقافة غربية ضحلة وسحية.

وهم عبارة عن أبواق وأسطوانات مسجلة، تردد كلماينعق به أعداء الاسلام، يجعلون من انفسهم مطية منقادة لكل راكب سواء كان من الغرب او الشرق، لاترى أحدا من هؤلاء الا إمعة(*) ينقاد وراء كل بارقة، تارة مع الرأسمالية وتارة مع الشيوعية الاشتراكية.

الصنف الثاني ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : وهم قلة لهم فضل وخلق مازالوا يحافظون على مالديهم من

امعة : الذي يقول لكل انا معك.

تراث اسلامي مجيد، ويقومون على صيانته، لهم معرفة بالأحكام الشرعية، ويبذلون أموالهم في سبيل الله، شعائر الاسلام مقامة في حضراتهم، وحلق بث العلم لاتخلوا منها مدارسهم، حلقاتهم بتلاوة القرآن معمورة، وبذكر الله على الوجه الصحيح مأهولة لاتحريف ولا زيغ.

وهؤلاء الذين أشرنا إليهم أصبحوا من ندور بمكان، قليلون جداً، ومهددون بالانقراض.

القسم الثاني : وهم كثيرون، يتشبثون بالشريعة، وبعضهم يزعم لنفسه الارشاد والمشيخة، يظهر أحيانا الامتثال والاجتناب، ويحاول الاقتداء بأسلافه حسب استطاعته، إلا أن داء الجهل قد تفشى فيهم بنسبة تسعة وتسعين بالمائة، وطغي عليهم الغرور والكبر والاعجاب بالرأي، والتنافس في تحصيل الثراء والتحايل على أموال الغير بشتى الوسائل.

وقد رأينا في هذا العصر أفرادا من هذا الصنف يحاولون الميز والظهور على غيرهم لحصولهم على ما يزعمونه خلافة اسلافهم، والحق يقال ليس فيهم من سيمة المشايخ إلاَّ كبر العمامة وطول السبحة، لايكاد أحدهم يفقه حكم طهارته فضلا عن غيره من الأحكام، مع تهافتهم الشديد على جمع حطام الدنيا.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نسوق للقارىء نظما بديعا لابن عمنا العلامة المحدث سعد بن الشيخ حسن قسم فيه المشايخ الى قسمين فقال :

(الشيـــخ لاتُــكسب الارتفاعـــا	لكـــن تزيـــد المال والاتباعـــا)
(فمن تكن قيلت له من بعدما	شهـــدت الأشيـــاخ أنـــه سما)
وانه م العلمـــــاء العامـــــلين	وانـــه تبـــع سنـــة الامين)
(وعبـد اللـــه وقـــام وقعـــد	ثم انتهى عما نهى عنه الأحـد)
(فـذا يجوز للـــذي لم يرتـــدع	عـن المعاصي كلهـا ان يتبـع)
(سبيلـــه ويقتـــدى بسبلـــه	ويفعـل الـذي لـه مـن قبلـه)

(اما الذين كثُرُوا فأكثروا ولقبوا بالشيخ ثم نظروا)
(مامات من مبتدع احيوه ومارأوا من سنة أخفوه)
(وجردوا السيوف للجدالي فأفسدوا معاشر الجهال)
(فذمهم ونبذهم وشتمهم أولى بهم كلا وذا يعمهم)
(لانهم روى من الدجاجلة وهم ثلاثون روى من نقله)
(بين يدى يوم القيام أو كما قال النبي العربي فأعلما)
(صلى عليه ربنا وسلما ماجلجل الرعد .ومالغيث همى)

فأنت ترى العلامة سعد قد قسم المشايخ الى قسمين :

1 ــ قسم تعلم العلم وعمل به، واقتفى سنة النبي ﷺ، وامتثل أوامر الله تعالى واجتنب نواهيه، وحصل على شهادة من طرف أشياخ كملة بأنه استحق لقب الشيخ أي أجيز من شيخه بالاذن في التربية والسلوك، فمن لم يشهد له الاخصائيون بعلم يدعيه لايحق له أن يتصدر فيه.

قال الأستاذ عبد القادر عيسى : فكما لايجوز لمن لايحمل شهادة الطب أن يفتح عيادة لمداواة المرضى، فكذلك لايجوز أن يدعي الارشاد غير مأذون له به من قبل مرشدين مأذونين مؤهلين يتصل سندهم بالتسلسل إلى رسول اله ﷺ انتهى من كتابه حقائق عن التصوف.

وذكر العلامة سعد في نظمه انه يجوز للشخص الذي ضعف فيه الوازع الديني، ولم يقدر على كبح هوى نفسه عن اقتراف الذنوب، والانهماك في الشهوات ان يتبع سبيل أحد المشايخ الذي اجتمعت فيه تلك الصفات الحميدة، ويسلم إليه نفسه ليعالجه من الأمراض القلبية المهلكة.

2 ــ قسم انتحلوا لقب الشيخ زورا، وأحيوا البدع ودافعوا عنها، وأخفوا السنن، وأفسدوا معتقد العوام وتشبهوا بالمشايخ وتزيوا بزيهم، دون أي مؤهلات تؤهلم لذلك.

ومن المعلوم أنه لابد للشيخ من عدة شروط حتى يتأهل لتربية الناس وارشادهم :

1 ــ أن يكون عالما بالفرائض العينية، فقيها بأحكام الطهارة والصلاة والصوم والزكاة، إلى غير ذلك. ويكون صحيح العقيدة عالما بها على مذهب اهل السنة.

2 ــ أن يكون مأذونا بالتربية والارشاد من شيخه.

3 ــ أن يكون خبيرا بطرائق تزكية النفوس ووسائل تهذيبها.

4 ــ أن يكون واعيا وفطينا بالمذاهب الدخيلة الوافدة، التي تهدف إلى هدم العقيدة الاسلامية، ويحاربها ويكشف عن بطلانها وزيفها، وبذلك يكون قد أسهم في حماية مجتمعه من غائلة الغزو الفكري، والانحطاط الخلقي، والتردي في أوحال الرذيلة، والازمات النفسية التي لاتنشأ غالبا إلا عن الفراغ الروحي، وتزلزل العقيدة.

5 ــ أن يكون في توجيهه لاتباعه مستندا الى الكتاب والسنة، جاعلا من اخلاق النبي ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى، ان يواظب على تدريس العلم ومذاكرته، ويرشد اتباعه الى مداومة ذكر الله على الوجه الصحيح، لأن ذكر الله هو العلاج الأعظم لتزكية النفس وصقلها من كل ماقد يرسب فيها من الأمراض القلبية كالحسد والنفاق والحقد والكبر إلى غير ذلك من المعاصي. ولان النفوس بطبعها نزاعة إلى الانحراف والانفلات من حدود الله عز وجل اذا لم تضبط بشرع الله. وأشار ابن البناء إلى شروط الشيخ بقوله :

(عار على من لم يرض علوما ... ويعلم الموجود والمعدوما)
(ولم يكن في بذله فقيها ... وسائر الأحكام لايدريها)
(ولم يكن احكم علم الحال ... ولا درى مقاصد الرجال)
(والحد والأصول واللسانا ... والذكر والحديث والبرهانا)
(ولم ينزه صفة المعبودي ... أو يدر كيف رتبة الوجودى)
(والعقل والنفس معا والروح ... ان يتعاطى رتبة الشيوخ)

وقد شرح عمنا العلامة الولي المربي الشيخ سعد أبيه أبيات ابن البناء هذه

شرحا فريدا أجاد فيه وأفادو مما قاله في هذا الشرح : إنه لابد للشيخ من معرفة فرض العين كأحكام العبادات والمعاملات.. وان يكون عالما بكمالات القلوب وآفات النفوس وامراضها وادويتها وأن يكون رؤوفا رحيما بالناس عموما وبالمريدين خصوصا وأن يكون ناصحا.. وأن يكون ستارا لأسرار الناس لاسيما المريدون، وأن يكون غني النفس حسن الخلق لايغضب الا الله وأن يكون أكبر همه تسليك السالكين لاجمعهم لتنصرف إليه وجوه الناس.. وان يكون له خبرة بعاني كلام القوم واطلاع على اصطلاحهم.. بعد اتقان الأحوال لسلوكه على يد مسلكٍ حتى انتهى سلوكه، وأذِنَ له شيخه في التصدر للمشيخة، وإلا كان ضالا مضلا. انتهى من كتاب كشف اللبس عن المسائل الخمس للشيخ سعد أبيه.

وكان الجنيد يقول : لايستحق الرجل ان يكون شيخا حتى يأخذ حِظا من كل علم شرعي وان يتورع عن جميع المحارم وأن يزهد في الدنيا وأن لايشرع في مداواه غيره الا بعد فراغه من مداواة نفسه. ثم قال : فإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف، فإنه من جنود الشيطان، واعتبر أقواله وافعاله وأحواله وزنها بميزان الشريعة والطريقة فإن رأيت شيئا مخالفا لهما فرده. انتهى من شرح تائيه السلوك.

قلت : لابد للشيخ من حظ من العلم يمكنه من معرفة الحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام التي لايعذر احد بجهلها، وان يكون ملما بعلم التفسير والحديث واللغة والنحو والسيرة والتاريخ، واذا اتاه المريد يريد بيعته والانتساب لحضرته يعلمه قبل اعطائه الأوراد مايجب في حق الله تعالى وما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويجمع له بين فروض العين المتعلقة بالبدن كالصلاة والزكاة والصوم، وبين الأعمال المتعلقة بالقلب كوجوب الصدق والاخلاص والخشوع وكحرمة الكبر والحسد والرياء. إلى غير ذلك مما أشرنا إيه آنفا. حتى يصير المريد على أكمل حال، جامعا بين الاشعاع الفكري والروحي.

ولاينبغي للمريد أن يشتغل بالأوراد حتى يحصل على نصيب من العلم فإذا تضلع من العلم قاصدا بذلك وجه الله تعالى وصار عارفا بالحلال والحرام حينئذ يبحث

عن شيخ عالم متمسك بالكتاب والسنة لأخذ الورد عنه وليحذر من اتباع أهل البدع الحائدين عن السنة الذين لاحظ لهم في العلم.

واعلم أن صحبة الشيخ الجاهل مزلقة قدم تؤدى الى الهلاك، وهو في رأي العلماء فاسق لجهله فرض العين وتركه التعلم قال بعض الفقهاء :

(وجاهل لفرض عين لم يجز اطلاق صالح عليه فاحترز)
(لأنه بتركه التعلما لم ين فاسقا يقول العلما)

أي : لم يزل فاسقا بتركه تعلم فرض العين الواجب عليه، وقال العلامة احمد بن رسلان :

(وكل من بغير علم يعمل اعماله مردودة لاتقبل)

وقد وجه العلامة الأديب محمد بن حنبل الشنقيطي سؤالا ضمن أبيات إلى علماء عصره عن إعراض شباب ذلك العصر عن العلوم والاشتغال بالأوراد فقال :

(ياخائضين بحور العلم مسالة عنها اجيبوا بأفهام ذكيات)
(عن اشتغال شباب العصر قاطبة عن العلوم بأوراد سنيات)
(أهذه نعمة في الدين نشكرها ام هي في ديننا احدى المصيبات)

فأجابه جدنا الشيخ ماء العنين بهذه الأبيات :

(هذا واوراد اهل الدين قاطبة لنعمة والعلوم نعمة تات)
(ليسا بأختين كان الجمع قد حرما إن اجتماعهما اسنى العطيات)
(لاكنهم فرقوا في البدء بينهما في ثالث بعد بحث واختلافات)
(فالبدء بالعلم للذ نفسه طهرت أولى وذاك كأدراع حصينات)
(ومن ترى نفسه بالانهماك عصت فالبدء أولى بأوراد سنيات)
(وبعد ذلك فالرجوع مكرمة للعلم اذ علمنا سبل الهدايات)
(فهاكها طالبا للحق مسالة قد حررت فاشكرن بذا جوابات)
(صلى وسلم رب الخلق اجمعه على الذي طرقه ازكى الطريقات)

ومعنى الأبيات أنه لاينبغي له الاكثار منها قبل التضلع من العلم الا إذا كان

ممن فسدت طويته وكانت المعاصي غالبة عليه فإن الورد ينفعه، أما الذي حفظه الله من المعاصي فالعلم أولى مايبدأ به.

وقد أجاب أيضا عن سؤال ابن حنبل مُريدُ الشيخ ماء العينين العلامة الحجة مفخرة عصره الشيخ محمد العاقب ابن مايابا الجكنى بقصيدة رائعة نورد منها هذه الأبيات :

(العلم نور وقلب الحبر مطلعه ... والقلب في الصدر مصباح بمشكاة)
(فمن تكن صلحت بالروض مضغته ... فالعلم في حقه احرى المهمات)
(وان تكن فسدت فالورد مرهمها ... وكم شفى الورد من داء وعلات)
(قال الغزالي في إحيائه وكفى ... به اخاثقة سباق غايات)
(أولى وظائف من رام التعلم أن ... يطهر القلب من رجس الرعونات)



(اما التبتل قبل سد جوعته ... من العلوم فمن اصل الضلالات)
(لاتحسب العلم والاوراد جمعهما ... كالضب والنون لكن جمع ضرات)
(فالحزم ان يقسم المريد بينهما ... مسافة العمر من يوم وليلات)

مبحث : قال العلامة الحافظ محمد حبيب الله بن مايابا : فضل جماعة من السلف كامامنا مالك والسفيانين وغيرهم العلماء العاملين، وفضل جماعة كالقشيرى والبرزلي والغزالي وعز الدين بن عبد السلام الأولياء العارفين. وقد أشار إلى هذا الخلاف العلامة المجدد للعلم بقطر شنقيط سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم بقوله :

(فكم اتى بين الولي العارف ... والعالم العامل من تخالف)
(فاختار بعض القوم تفضيل الولي ... وهو القشيري وتلاه البرزلي)
(كذا الغزالي وعز الدين ... لكن خلاف قول الاكثرين)
(واختاره جماعة م العلما ... حكى ابن الازرق أمام الحكما)

...واعلم أن كل ما ورد في فضل العلماء وتفضيلهم انما هو بالنسبة للعاملين بعلمهم الواقفين على حدود الله تعالى لاعلماء الدنيا الطالبين جاهها وحطامها اذ العلم حقيقة هو ماأورث صاحبه عملا وخشية وإلا كان زيادة وبال وخيبة على صاحبه فمن خلا من الخشية فهو جاهل مليم لا عالم كما أشار إليه العلامة المحقق احمد بن عبد العزيز الهلال في نصيحته بقوله :

(والعلم ما اكسب خشية العليم فمن خلا منها فجاهل مليم)
(لأنه ميراث الانبياء فلم ينله غير الاتقياء)

وقد ورد في الأخبار ان علماء السوء الذين لايعملون بعلمهم أول من تسعربهم النار كما أشار إليه سيدي احمد زروق في منظومته بقوله :

(وعلماء السوء في الأخبار أول من يصلى سعير النار)

اعاذنا الله تبارك وتعالى من ذلك. انتهى من زاد المسلم ج 3 ص 333.

وفي فيض القدير عند حديث : ويل لامتى من علماء السوء مالفظه : ضرب من العلماء أهل تصنع ودهاء ومخادعة، وتزيين للمخلوقين شحا على رياستهم، يتبعون الشهوات ويلتقطون الرخص ويخادعون الله بالحيل في أمور دينهم، فاطمأنوا إلى الدنا وأسبابها، ورضوا من العلم بالقول دون الفعل.

مبحث : اعلم ان المدارس الروحية ليس دورها مقصورا على قراءة الأوراد وحلق الذكر فحسب كما يظنه البعض، بل دورها يتمثل في نشر العلم وتهذيب المسلم، واعداده ليكون عنصرا صالحا في المجتمع، والدعوة إلى إعلاء كلمة الله، والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، والوقوف في وجه الطغاة والمجرمين ومساندة المظلومين ومواساة الضعفاء والمنكوبين.

ولا يخفى أن الطرق الصوفية تتأثر بحال الشيخ الذي يتولى توجيهها، فإن كان عالما ورعا زاهدا قويا في الحق متبعا للسنة ينتفع اتباعه لامحالة ويهتدون بهدى النبي ﷺ، وإن كان الشيخ جاهلا ضعيفا مداهنا متهافتا على جمع حطام الدنيا، يضل اتباعه

وينحرفون عن الصراط المستقيم، وذلك أنه ليس عندهم علم يصونهم عن الوقوع في مهامه الجهل والضلال، ومعلوم ان الجهل ينتج عدم الورع الذي يحجز المرأ عن تخطي حدود الله تعالى :

ومأأكثر المشايخ في هذا العصر اذا عددتهم بمقياس العبادة الظاهرة، والتحلى بمظاهر شكلية خالية من المضمون، فاقدة لروح الاسلام وجوهره، وغالبا مايمتلكون مهارة في الكلمات المنمقة وزخرف القول.

ومأأقلهم إذا عددتهم بمقياس الصدق والاخلاص في العبادة والورع والتعفف والترك لما فيه شبهة، والالتزام بما أمر الله به ونهى عنه.

ومأأكثر من ينساق منهم وراء الوهم وخداع النفس، والجهل والشهوات المحرمة حتى يسقط في شرك المعاصي ويتدرج بعد ذلك إلى الكفر، وبلغ ببعض المدعين للتصوف في هذا العصر ان قال قولا منكرا كان قد قال به زنادقة الباطنية، وهو ان التكاليف الشرعية خاصة بالعوام ساقطة عن الخواص، وانه قد يصل الشخص الى درجة من العبادة لايؤاخذ بذنب اقترفه.

وهذا الصنف من المتصوفة قد تبرأ منه اقطاب التصوف كالشيخ عبد القادر الجلاني والشيخ أبي الحسن الشاذلي وابن عطاء الله والسيوطي وزروق والشيخ احمد التيجاني وغيرهم. ويرد الشوكاني على المدعين لرفع التكليف، فيقول :

وما اقبح مايحكى عن بعض المتلاعبين بالدين المدعين للتصوف انهم يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فانقطعت عنهم التكاليف الشرعية، وخرجوا من جيل المسلمين المؤمنين وسقط عنهم ماكلف الله به العباد في هذه الدار. فإذا صح هذا. فما يقوله احد من أولياء الرحمان، بل يقولوه أولياء الشيطان لأنهم خرجوا إلى حزبه وصاروا من جملة اتباعه. انتهى من قطر الولي.

ويقول محمد الخضر حسين في تعليقه على موافقات الشاطبي : دس هذه المقالة بعض الزنادقة وسعى في ترويجها الفساق من المدعين للولاية، حتى يجدوا مسرح

الشهوات واسع المجال، وانطلت هذه الدسيسة على كثير من الأغبياء، فطرحوا من أيديهم أن يزنوا سيرة المدعي للولاية بميزان الشريعة. ومما ساعد على انتشار هذه الضلالة الهادمة لقانون الشرع ان بعض المنتسبين للعلم يهابون التعرض لكل من ادعى الولاية بحاله أو مقاله، وماهو الاضعف البصيرة، وقلة الرسوخ في العلم بحقائق الدين التي يضمحل أمامها كل باطل، وتسقط اتجاهها كل دعوى مزيفة.اهـ

الخاتمة :

ونختم كلامنا بما ذكره بعض الاجلاء عن تصرفات وأقوال تصدر عن بعض أصحاب الطرق ليست من الشرع في شيء، قال علي محفوظ في كتابه الابداع في مضار الابتداع : انك ترى أرباب الطرق في هذه الازمان اذا جاءهم المريد فأول شيء يلقونه اليه من تعاليمهم إيقاع الفرقة بينه وبين إخوانه المؤمنين يذم له مشايخ الطرق الآخرين حتى يبعثه على الاعتقاد بأن فضل الله لم يجد مناخا سوى شيخه، ثم يذم له علماء الدين من أهل الظاهر حتى يعتقد بأنهم لايصلحون للاسترشاد ولايقبل منهم نصيحة، وهذا من أخص علامات المبتدعة انتهى منه ص 169

كان جدنا الشيخ ماء العينين رحمه الله لايحجر على أحد من اتباعه في نوع من أنواع الطاعة، ولايأمره بلزوم ذكر معين بحيث أنه إذا تعداه يكون مخلا بالطريقة، يقول ابنه العلامة الشيخ محمد الامام : كان شيخنا الوالد رضي الله عنه لا يحب الفرقة والتعصب للمذاهب والطرق، وكان لايحجر على اتباعه بلزوم نوع واحد من الطاعات أو الاذكار وترك ماعداه أو بالذكر على كيفية معلومة وصيغة معروفة يمتاز بها أتباعه عن غيره لا وكلا بل يأمرهم بما أمرهم الله ورسوله من أنواع الطاعة جميعا، ويحثهم عليها بحسب استطاعتهم، وادامة ذكر الله تعالى كيفما لاق لهم والاكثار منه بالقلب واللسان باخلاص كما قال تعالى : وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير تحجير ولا تحديد على شأن السلف الأقدمين. اهـ من كتابه الجاش الربيط

وقد قال الشيخ ماء العينين في هذا المعنى نظما بديعا وشرحه شرحا لطيفا صدره بقوله :

(إني مـؤاخ لجميـع انطـرق اخـوة الايمان عنـد المتقـى)
(ولا افــرق للأوليـــاء كمــن يفــرق للانبيـــاء)

إلى أن قال رحمه الله

(ومستحيـل ان يقـول اتبعـا منه لـذا وذا لـه لاتتبعـا)

قال في شرحه عند هذا البيت : اعنى انه مستحيل عقلا ونقلا أن يكون شخص من الأولياء ويقول لأحد اتبع من النبي ﷺ لذا القول مثلا أو الفعل ولا تتبع له هذا القول الآخر وذا الفعل، لأن هذا ليس الاكمن يقول : نومن ببعض ونكفر ببعض.

... وقال رحمه الله إن النبي ﷺ أمر أمته بذكر الله تعالى وبالتقى وبالاخلاص في جميع الطاعات ولم يقل ﷺ لأحد أنه يذكر بهذا الذكر ولا يذكر بغيره أو يفعل هذا الفعل ولا يفعل غيره من الطاعات وقال ان التحجير الذي يفعله بعض المنتسبين للمتصوفة على الشخص من عدم اخذ ذكر على ذكر ومن عدم اعطاء شخص لذكر مع ذكر ليس هو في شيء من الشرع، وإنما هي رهبانية ابتدعوها لم يجدوا قوما عن نبيهم سمعوها، وكيف لا وهو تعالى قال : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) اهـ من كتابه مفيد الراوي

يقول العلامة الشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين في كتابه اسعاف السائل بالكلام على بعض المسائل : نعم ورد عن الشارع الحث على بعض الاذكار وربما بين لها اعدادا كمائة من لااله الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكالمعقبات بعد الفرائض، وربما يذكر لها فضائل، لاكن لم يرد عنه أنه قال من ذكر بهذا الذكر لايذكر بسواه أو لايذكره الا بكيفية مخصوصة أو في محل معروف، أو من تركه بعد فعله مرة أو مداومته زمنا يكون آثما.. قال تعالى (وما جعل عليكم في

الدين من حرج) وقال ﷺ : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا إلى آخر الحديث، فمن انتهج طريقا سوى هذا فقد صادم مقصود الشارع من التيسير، نعم ورد في الحديث : أحب الأعمال إلى الله تعالى ماكان ديمة وورد الحث على مداومة السنة والترغيب في المندوبات والفضائل، لاكنها لم تبلغ درجة الواجبات، ولكل من هذه الطاعات درجات ومراتب لايميزها الا صاحب الشريعة ﷺ، أما العلماء والمشايخ حسبهم ان يقفوا على ماحد لهم الشارع

(فما كفى اولنا ... أليس يكفى الآخرا)

فلأجل ذلك كان والدنا الشيخ ماء العينين لايحجر على احد يجد له وجها شرعيا ولايضيق عليه.. ولايروق عنده اختلاف بعض اهل الطرق وتعصبهم ويقول ان ذلك لم يكن من شأن السلف... ويقول انه لم يرد عن الشارع الامر بلزوم ذكر معين وترك ما عداه او التزام نوع من انواع الطاعات غير الفرائض حتى يكون من تركه اثما او كأنما اخل بركن من اركان الدين. بل كان يأمر اتباعه بمداومة ذكر الله سرا او جهرا جماعة او افرادا كيفما امكنهم من غير تحجير وكفى على ذلك شاهدا قول مريده العلامة سيدي محمد العاقب ما يابا الجكني :

(عسى الوزر عني اذا ما يحط ... علي بذكر الاله يحط)
(فان شئت فهت به جهرة ... وان شئت سرا به او وسط)
(وان شئت في النفس او في الخلا ... وان شئت في ملإ أو لغط)
(وإن شئت زدت على اسم الجلال ... وإن شئت باسم الجلال فقط)
(دعاني الاله الى ذكره ... ولا حد في ذكره مشترط)

انتهى منا اسعاف السائل (مخطوط)

ويجدر بنا ان نسوق للقارىء ما ذكره عمنا الشيخ محمد الامام في كتابه الجاش عن التصوف وذلك لما فيه من الانصاف والتحقيق قال رحمه الله :

اعلم وفقني الله واياك ان طريقة التصوف صحيحة المبادىء لايمتري في ذلك من عنده اثارة من علم الشريعة، اوله معرفة باخبار مشايخها الاقدمين، فان التصوف عندهم عبارة عن علم وعمل واخلاص وهذا مما لايمتري عاقل في صحته لموافقته للمعقول والمنقول انظر كتب القوم الاولى كالغزالي والقشيري والشيخ عبدالقادر الجيلاني ونحوهم من المحقين المحققين، ولاشك ان الطريقة اعتراها بعد ذلك كثير من الخلل والفساد في هذه الازمنة الاخيرة فاختلط الحابل بالنابل، وجعلوها اضحوكة للمتفرجين واحبولة للمتصدين، وسلما للمتسلقين، فشوهوا اسم الطريق بمسائل تشمئز منها القلوب السليمة من خزعبلات واضحة البطلان، كاختلاط النساء بالرجال، واكل الميتة، والتلطخ بالدم السفوح، الى غير ذلك واما ما سوى ذلك من الامور التي لها احتمال في الشريعة فقد التبس فيها الحق بالمبطل لاجل كثرة الدعاوى والمدعين كغيرها من الامور الصحيحة المبادىء فيعتريها الفساد إما بالافراط او التفريط ومعلوم ان كلا الطرفين مذموم اذا فلم يبق امامنا الا الوقوف عندما حد الشرع المقدس بالنصوص التي لاتحتمل التأويل فان ما لاتأويل فيه اسلم مما فيه تأويل، فان رأينا من يدعو بهذه الطريق التي اوضح القوم وبينوها فعلا وقولا التي هي طريق السلف الصالح ورأيناه يسير امامنا عليها ويقتحم عقباتها ويتحمل مشاقها فاكرم بذلك وانعم فنحن نقتدي به ونسير خلفه والا فلا فلا فلا فليدعنا نشمي وئيدا او نديم السير رويدا على قارعة هذا الطريق المعبدة قبلنا، ونهدج فيها هدجان الشيوخ فان سالكها ان لم يصل اليوم يصل غدا وهو بلا شك آمن أن يشاك فيها او يضل او يصادف حجر عثار، ولكن لاتظن أن الخلل إنما وقع في طريق القوم خصوصا لا وكلاً فان من نظر بعين الانصاف وقلة التعصب يعلم ان كثيرا ممن ينكر على اهل الطرق اليوم اسوأ منهم حالا في كثير من الامور، قال تعالى: اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) وقال الشاعر :

(لاتنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم)
(ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم)

ولايبلغ بنا الافراط في النكير والتعصب على القوم ان نقول انه لم يبق منهم احد على الحق او لم يبق مخلص لله تعالى في دعوته وارشاده نعوذ بالله تعالى من ذلك ولكن عندنا في ذلك معيار لايغلط وميزان لايحيف الا وهو الاتباع وترك الابتداع، واياك واياي من تزكية النفس: شعر

واني لاغنى الناس عن متكلف   يرى الناس ضلالا وليس بمهتدي

فانظر يا أخي الأمور بمرآة سالمة من درن العيوب النفسانية والأغراض الشخصية لترى الأشياء على حقائقها، ان المرآة ان لم تكن صافية صقيلة ارتك الاشياء بخلاف الواقع،

«اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم»

بل نصدع بعبارة صريحة ومثل بين ألآ إن البيت اذا احكمت قواعده لايضره عدم التزويق، ألآ إن التزويق وحده لاينفع اذا هدمت القواعد، الا إن قواعد الاسلام معروفة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، فلا تكن يا اخي إمعة في كل الامور، ولاتكن متعصبا فيها ولتكن ضالتك المنشودة هي الحق اينما كان وعلى لسان من كان، وقد قلت ابياتا في المعنى نسئله التوفيق في الاقوال والافعال من آخر قصيدة ذكرت فيها بعض هذه العجائب العصرية والامور المخترعة فأردت ارجاع الامور لقدرة الخالق تعالى مخافة الزيغ:

هذا ولا تغفل عن التوحيد فالا   شياء عند مشيئة الرحمن

اما اخو الايمان إن يرأية   تزدد لديه، قوة الايمان

اما الذي في قلبه مرض فقد   يزداد خسرانا الى خسران

هذب فؤادك واشتغل بصلاحه   لتزول عنه شوائب الادران

يتلون المرءي لون زجاجه   والشيء ليس بتيلك الالوان

ومتى صفا بالذوق قلبك تنطبع   في دفتيه حقائق الاكوان

فمظاهر الاسماء ما ان تنقضى   اذ كل يوم أمره في شان

قولي يتلون المرىء لون زجاجه الخ اشارة إلى ان الاشياء اذا كانت وراء الزجاج انما تراها بلونه اخضر او اصفر او احمر الى غير ذلك من تنوع الالوان فاذا

كان صافيا سالما من كل شائبة رأيت الاشياء على حقيقتها، ومرآة الانسان قلبه وصبغتها اهواؤه فاذا سلم من الاغراض شاهد الامور على حقيقتها والا فلا والله تعالى اعلم، فاذا تمهد لديك هذا فاعلم ان طريقة التصوف كانت من اسلم الطرق واقلها بدعا بل كانت مبنية على الاسس التي ذكرنا من العلم والعمل والاخلاص، وقد اعتراها من الخلل والدعاوي ما اعترى الامور كلها، فليس من الانصاف ان نخص طريقة التصوف بأمر يشترك معها فيه غيرها، بل يكون نصحنا لاخواننا المسلمين باخلاص وشفقة ومحبة ونعلم ان القلوب بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء فنرجوا للجميع منه سبحانه وتعالى ان يجبر صدعه ويوفقه للصراط المستقيم، ولاتكن في قلوبنا حزازة ولابغضاء لاحد بحيث تغطى سيئاته في نظرنا حسناته، بل نعلم ان احدا من البشر لم يكن معصوما بعد الانبياء عليهم السلام، وندع الرضى عن انفسنا ورؤية الفضل على الغير ونقول طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. انتهى ما ذكره العلامة الشيخ محمد الامام.

فهذا اخر الكتاب والحمد لله اولا واخرا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عدد ذرات الكون اللهم اجعله خالصا لوجهك، واختم لنا بالحسنى واغفر ذنوبنا وتجاوز عن سيئاتنا، واغفر لمشايخنا ولوالدينا ولمن سبقنا بالايمان، اللهم اننا نسالك الشغل فيما تحب وترضى ونعوذ بك من العبث وما يقود الى الضلال، واهدنا الصراط المستقيم واسقنا من معينك الذي لاينضب ومن فيض عطائك الذي لاينفد، واجعلنا فيمن خافك واتقاك وعمل بما علم انك سميع مجيب.

اللهم اكبت اعدائي من الفسقة والظلمة ومن يريدني بسوء ولاتجعل لهم علي سلطانا وقنى شر الحقدة وكيد الحسدة، اللهم اعز الاسلام والمسلمين وارفع رأيتهم في كل بلد واذل الشرك والمشركين انك مجيب لمن دعاك ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان انتهاء تسيطره يوم السبت 18 — شعبان — 1409 هـ 25 — مارس — 1989 م

الفقير الى عفو ربه

الطالب خيار بن مامين بتشديد النون

آل الشيخ ماء العينين الحسني الادريسي

فهرس الكتاب

فهرس المراجع

عنوان الكتاب	الطبعة	المؤلف
ـ شرح مسلم	دار الفكر	النووي
ـ المرقاة على المشكاة	ببني الهند	القارى
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير	مصطفى الحلبى	المناوي
ـ شرح مسلم	السعادة مصر	الابي
ـ الموافقات تعليق دراز	دار المعرفة	الشاطبي
ـ شرح السلم	السعادة مصر	الصبان
ـ فتح المبين شرح الاربعين	دار الكتاب العلمية	ابن حجر اليشمى
ـ تحفة المحقق في حل مشكلات علم المنطق	مخطوط في موريانيا	المختار بن بونه
ـ كبرى اليقينات	دار الفكر	البوطي
ـ الفرق بين الفرق	دار الافاق الجديدة	عبد القاهر
ـ الملل والنحل	دار المعرفة	الشهر ستاني
ـ فتاوى ابن تيمية	المعارف المغرب	ابن تيمية
ـ الاسماء والصفات تعليق الكوثري	السعادة مصر	البيهقي
ـ شرح الاضاءة	مخطوط	ابن الاعمش
ـ الرسالة	دار الفكر	الشافعي
ـ ارشاد الفحول	المنيرية	الشوكاني
ـ البداية والنهاية	دار الفكر	ابن كثير
ـ زاد المسلم	الحلبى	محمد حبيب الله
ـ البيان والتحصيل	دار الغرب الاسلامي	ابن رشد
ـ فتح الباري	السلفية	ابن حجر
ـ مسكاة الانوار الهادمة لقواعد الباطية الاشرار	الدار اليمنية	يحى حمزة

ـ التبصرة في اصول الفقه	دار الفكر	الشيرازي
ـ المقدمات	دار الغرب الاسلامي	ابن رشد
ـ اوجز المسالك على موطا مالك	السعادة	الكاندهلوى
ـ دفع شبه التشبيه	التوفيقية مصر	ابن الجوزي
ـ البيان الجامع لاحكام القران	دار الكتب مصر	القرطبي
ـ الواضح المبين	مخطوط	عبدالقادر
ـ الوسيلة	مخطوط	المختار بن يوند
ـ تنبيه المغترين	دار اسامة دمشق	الشعراني
ـ مراقى السعود	الحجرية	سيد عبدالله
ـ بدائع الفوائد	دار الكتاب العرب	ابن القيم
ـ الفتوحات الربانية على الاذكار النواوية	دار الفكر	ابن عيلان
ـ المحجة في سير الدلجة	دار البشائر الاسلامية	ابن رجب
ـ النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب	الطبعة المصرية الازهر ـ الاولى	ادريس الوزاني
ـ الرائد في علم العقائد	النور تطوان	العربي اللوه
ـ منتخب التصوف	الحجرية	الشيخ ماء العينين
ـ مدارج السالكين	دار الكتب العامية	ابن القيم
ـ سنن ابي داوود	دار الفكر	ابو داوود
ـ المغنى في اصول الفقه	جامعة ام القرى	جلال الدين الخبازي
ـ مذكرة اصول الفقه	السلفية	محمد الامين
ـ قل هذه سبيلي	دار الشروق جدة	محمد علوي مالكي
ـ دلائلالنبوة	دار الانسان القاهرة	عبدالحليم محمود
ـ الاصابة	دار الكتاب العرب	ابن الحجر
ـ اسد الغابة	دار الفكر	ابن الاثير

ـ شفاء السقام في زيارة خير الانام	دار الفكر	السبكي
ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد	وزارة الاوقاف مصر	الشامي
ـ زاد المعاد	المنار الاسلامية	ابن القيم
ـ سير اعلام النبلاء	مؤسسة الرسالة	الذهبي
ـ شرح الشفاء	المدني القاهرة	القاري
ـ عارضة الاحوذي	دار الفكر	ابن العربي
ـ العقود الدرية	دار الكتاب العربي	ابن عبد الهادي
ـ النفحة الاحمدية	الجمالية مصر	احمد بن الشمس
ـ دليل الرفاق على شمس الاتفاق	الحجرية	الشيخ ماء العينين
ـ قطر الولي على حديث الولي	دار الكتب الحديثة	الشوكاني
ـ طبقات الشافعية	الحلبى	ابن السبكي
ـ نشر المثاني	دار الغرب للتأليف	الطيب القادري
ـ الكواكب الدرية في مناقب المجتهداني تيمية	دار الغرب الاسلامي	مرعى الحنبلى
ـ روح المعاني	المنيرية	الاولوسي
ـ المغنى	مكتبةالقاهرة	ابن قدامة
ـ الانصاف	دار احياء التراث العرب	المرداوي
ـ الفروع	عالم الكتب	ابن مفلح
ـ السبل السلام	دار الكتاب العربي	الصنعاني
ـ بدائع الصنائع	دار الكتاب العربي	الكاسني
ـ مناقب عمر	دار الكتاب العربي	ابن الجوزي
ـ الفتاوي الحديثية	دار المعرفة	ابن الحجر الهيتمي
ـ حقائق عن التصوف	المطبعة الوطنية عمان الاردن	عبدالقادر عيسى

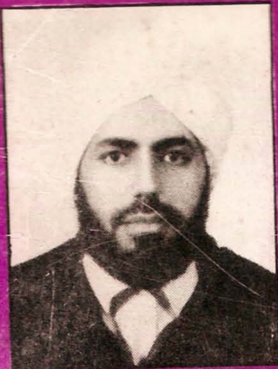
ـ عوارف المعارف	دار المعرفة	السهر وردي
ـ التمهيد		ابن عبدالبر
ـ تنبيه الغافلين عن اعمال الجاهلين	دار الكتب العلمية	ابن النحاس
ـ غذاء الالباب	مكتبة الرياض الحديثة	السفاريني
ـ عين العلم زين الحلم	دار المعرفة	القاري
ـ كشف اللبس عن المسائل الخمس	مخطوط	الشيخ سعد ابيه
ـ مفيد الراوي	الحجرية	الشيخ ماء العينين
ـ اسعاف السائل	مخطوط	الشيخ محمد الامام

مطبعة الرسالة

رقم الايداع القانوني
1990/ 577

حقوق الطبع

محفوظة للمؤلف



المؤلف في سطور

- ينتمي إلى أسرة العلم والشرف أسرة آل الشيخ ماء العينين
- ولد في شمال موريتانيا في ولاية تيرس زمور
- قرأ القرءان في صغره في الكتاتيب وتعلم مبادىء العلوم الاسلامية في المحاظر
- بعد البلوغ بدأ دراسة العلوم الاسلامية المختلفة
- اخذ العلم عن علماء اجلاء في موريتانيا
- اخذ مواضع من علم الأصول عن العلامة المحدث بداه ابن البوصيرى
- اخذ النحو عن العلامة اللغوى محمد سالم ولد عدود
- اخذ علم المنطق عن العلامة محمد سالم بن المحبوبي
- ثم لازم العلامة المتبحر عميد العلماء في موريتانيا محمد يحيى بن الشيخ الحسين واخذ عنه الفقه والأصول وأجازه في الصحيحين والموطأ

- تقلد عدة مناصب هامة في الدولة بموريتانيا من بينها

- مساعد لوالي ولاية تكانت
- مستشار برئاسة الدولة
- مدير لمكتب الدراسات في رئاسة الدولة
- محافظ لولاية لعصابة -
- يشغل حاليا منصب مستشار شرعي بالبنك الاسلامي بموريتانيا
- عرف بحرصه على طلب العلم وتحصيله.